20 me. année No 967

Le Caire 14—1— 1952

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ١٤ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

## الهازلون فى وقت الجد !

للأستاذ أنور المعداوى

فى ليلة السبت ٥ يناير عام ١٩٥٢ سهرت السويس حتى الصباح ، وكذلك سهرت القاهرة . . كانت السويس الباسلة تضج بالألم وهى تستمع لصوت الرصاص ؛ وكانت القاهرة السعيدة تفيض باللذة وهى تستمع لصوت أم كلثوم ! كان هناك مأتم وكان هنا عرس . كانت هناك دماء وكان هنا غناء . .

السويس والقاهرة إن لم تكن تمثل قطعتان أصيلتان من أرض مصر ؛ مصر التى يقال عنها إنها تنظر إلى المأساة بعين واحدة ، وتتلقى أنباءها بشعور واحد !

فى تلك الليلة ، ليلة السبت ٥ يناير عام ١٩٥٢ ، كان المجاهدون من أبناء السويس وحدهم فى المعركة ، يواجهون قوى الشر والغدر والطغيان . . دماؤهم فوق أسنة الحراب ، وأجسادهم تحت أقدام اللصوص ، وعيونهم أبدا إلى الأفق البعيد ! أما القاهرة فقد تلقت الأنباء المفجعة فى الساعة الثامنة والنصف ، ومع ذلك فقد بدت فى التاسعة والنصف وكأنها لم تسمع شيئا ولم تشعر بشىء . . واعذروها فقد كانت فى غمرة الطرب ونشوة الأنغام ؛ كانت تنصت لأم كلثوم وتصفق لأم كلثوم !

ماذا يقول الناس عن هذه العاصمة السعيدة المرحة التى لا تعرف الحياء ؟ العاصمة التى لا يضيرها أن تطرب وهناك من يئن ، وأن تسعد وهناك من يشقى ، وأن تضحك وهناك من يبكى ، وأن تحيا وهناك من يموت ؟ !

شهيد واحد من شهدائنا تستقر فى رأسه مائة رصاصة . . ترى هل استحالت الرءوس فى نظر الأنذال إلى حصون وقلاع ؟ إن تلك الرصاصات المائة لكفيلة بأن تشعل فى النفوس نار الأسى على الشهيد الذاهب ، ونار الحقد على العدو الظالم ، ونار التطلع إلى انتقام سريع . . إنها لكفيلة بأن تقض المضاجع ، وأن تؤرق الجفون ، وأن تجعلنا ساهرين حتى الصباح ! ولقد فعلنا ذلك منذ أيام . . غنت كوكب الشرق ، وصفق السكارى والمربدون ، واشتركت فى المهزلة محطة الإذاعة الحكومية ؛ تلك المحطة التى لا يشرف عليها غير أصحاب الثقافة القاصرة والشعور البليد !

ترى هل قدر لمدن القنال أن تعيش وحدها فى الجحيم ، وأن تحمل وحدها العبء الفادح ، وأن تخوض وحدها غمار المعركة ، دون أن يجد أهلها من يشاركهم فى الشعور إن لم يقاسمهم المصير ؟ لقد كنت أنتظر حين تجرح بورسعيد أن تضمد جراحها الإسكندرية ، وحين تبكى السويس أن تكفكف دموعها القاهرة ، وأن تؤلف بين نفوسنا وحدة الدم وأن تربط بين قلوبنا صرخة الوطن ، فى هذا الوقت الذى نواجه فيه سطو اللصوص على كل ما نملك من رصيد الشرف والكرامة . . كنت أنتظر هذا كله وما هو أكثر منه . ، ولكن القاهرة

# المصطلحات الطبية*

## ونهضة العربية بصوغها فى القرن الحاضر

للأستاذ الدكتور أحمد عمار بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغات كائنات حية نامية متجددة — ما تجددت عاشت ، فإن جمدت ماتت . ولقد تعتورها من آفات الإفراط والتفريط

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور فى حفلة افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول

---

الماجنة قد نقلتنى من عالم الخيال الجميل إلى عالم الواقع الذميم ، حين أرسلت ضحكاتها الصاخبة عبر الفضاء لتحيى بها أنين الضحايا على ضفاف القنال !

إن الدم ليفور فى عروق وأنا أبحث عن الرجل الذى يملك سوط الجلاد فلا أجده ؛ الرجل الذى يلهب ظهور اللاهين فى ساعة الجد ، والعابثين فى وقت الشدة ، والهازلين ورحى المعركة تدور . . أين هذا الرجل ليرد أصحاب الغفلة إلى الوعى ، وأين سوطه ليعلم أصحاب الجنون معنى الوقار ؟! ما أشد حاجتنا إلى هذا الرجل ما دام الذوق قد تحجر ، وما دام الحس قد تبلد ، وما دام الضمير قد مات !!

لو وجد هذا الرجل لما امتلأت القهوات بالفارغين ، ولما ازدحمت الشوارع بالمتسكعين ، ولما ضاقت الأندية على سعتها بالرقعاء من لاعبى القمار . . لو وجد هذا الرجل لساق هؤلاء جميعا إلى هناك ، إلى تلك البقعة المجاهدة ليتلقوا فى رحابها الدروس ؛ دروس العزة والبذل والتضحية وإنكار الذات ! لو وجد هذا الرجل لساقهم سوق العبيد ليفهموا معنى الحرية ، ولأخذهم أخذ الأذلاء ليدركوا شرف الكرامة ، ولأيقظهم بصوت القوى القاهر من هذا السبات العميق !!

إنهم فى هذه المحنة القاسية وفى هذه اللحظة الحاسمة ، محتاجون حقا إلى من يقنعهم بأن زمن اللهو قد انقضى وبأن وقت الهزل قد فات ، ولن يقنعهم على التحقيق غير شئ واحد هو سوط الجلاد . . وما أشد افتقارنا إليه فى مثل هذه الأيام !!

أنور العراوى

أدواء لا منجاة لها منها إلا أن تكون بين ذلك قواما ، وتلزم بينهما قصد السبيل

وإن لكل لغة أوضاعا مأثورة ، ومطالب يقتضيها منها العصر — وعلى قدر توفيقها فى المزاوجة بين الحفاظ على تراثها ، ومسايرة زمانها يكون حظها من قوة الحياة . فان هى اشتطت فى المحافظة إلى حد الجمود ، أو نبذت قديمها تهافتا على الجديد ، دب إليها دبيب الوهن ، وتناوشتها عوامل الفناء

وللغة العربية ميزة فذة على سائر اللغات — إذ نزلت بها آيات الهدى والفرقان ، وإذ شرفها الله تعالى بمحكم قوله : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » وبصادق وعده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

ولغة هذا شأن تراثها — بل شأوه من التقديس — لا عجب إذا هى انقادت بيديتها ، فمثلت فى المحافظة حذر التجديد . . ولكنها إن أعملت رويتها ، أدركت أنها إن تغل فى الحذر — فمن مأمنه قد يؤتى الحذر ، وأنها إن تجمد على القديم ، تفد على الأيام لغة قصاراها الدين ، بعد إذ كانت فى عنفوانها لغة الدنيا والدين ، وتتنكر بذلك لتراثها ذاته ، بل لسنة الحياة لا تبديل لها ، وهى أن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض . فتلك سنة لا تند عنها اللغات ؛ فهى إنما تمكث فى الأرض بما توفره من منافع للناس فى شتى ضروب تواصلهم فى أمور معاشهم . وإنا لتعاصرنا لغات موفورة الحياة ، لا تكف عن التجدد ليل نهار ، لتلاحق فيوض القرائح وأفانين الابتكار ، فلا يلحقها من هذا التجدد ضير ، بل لا يزيدها التجدد إلا قوة ونماء

ولقد وسعت اللغة فى ريعانها من مطالب الحضارة أعلاها مرتقى ، وأصعبها شمايا ، ومن بينها الطب ، إذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب ، وتدارسه فى كنفها حقبا طوالا . وما كان ذلك إلا لأن أسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدوى ، وهو فرط الحذر ، ولم يخشوا فى النقل عمن سبقهم من الأمم لومة لائم ، بل أقبلوا عليه إقبالا لعلهم كانوا فيه إلى العجلة والاندفاع أقرب منهم إلى التؤدة والأناة ، فما أضرهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع ، ولو أنهم أسرفوا فى الحذر — لما خلد لهم فى التاريخ ذكر ولا

بقى لهم فى العلم أثر

ثم دارت الأيام بهذا المجد العربى المؤثل ، فذالت دولته ، وطال بالأمة تخلفها عن قافلة الزمان ، حتى كان مبزغ النهضة المصرية الحديثة التى تصدرها المجدد العظيم محمد على ، فأخذت اللغة تصحو من سباتها الطويل . وكان من بواكير هذا الصحو أن تعاون القائمون بالتعليم الطبى حينذاك على نقل المصطلحات الطبية إلى اللغة العربية ، وأثمر هذا التعاون معجم التونسى المسمى « الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية » — ذلك المعجم الذى ألقت به عصا التسيار إلى متحف باريس ، ثم نقلت منه صورتان شمسيتان إلى دار الكتب المصرية . وهذا المعجم يشتمل على مفردات عربية مشروحة لا تقابلها مرادفاتها الأجنبية ، ويقع فى اثنى عشر جزءا ، لم يقدر لها أن تنشر ، فيما عدا مائة صفحة منها عنى المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك بنشر مفرداتها مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية . ومن أسف أن هذا الجهد الذى كان خليقا بالنفع لم يمض إلى غايته . وحبذا لو عنى مجمعنا الموقر بتزويد مكتبته بصورة من ذلك المعجم الحبيس ، انتفاعا بكثرة ما حوى من مفردات صالحة للاقتباس الطبى ، مستخرجة من معاجم عدة

على أن هذه النهضة العربية فى القرن الماضى ، ما لبثت أن منيت بمثل ما منيت به النهضة السياسية من عثار لم يكن منه مقيل حتى مطلع العشرين ، حين قيض الله للمصطلحات الطبية العربية طبيبا كبيرا : هو المرحوم الدكتور محمد شرف بك ، ملك عليه حب العربية مشاعره ، فبذل لها من فكره وجهده ، ومن ماله ووقته ، ما تنوء به العصبة أولو القوة ؛ غير مشفق من أن يحمل وحده أمانة تؤود رهطا من الأثبات إذ أخرج للناس معجمه الضخم الذى ينتظم سبعين ألفا من المصطلحات ، لا فى الطب بمختلف فروعه فحسب ، بل فى كل ما يمت له بصلة من سائر العلوم . وبحسب هذا المعجم أن يكون الأول من نوعه فى العربية ، وأن يقوم شاهدا على ما تستطيعه الهمة الشماء إذا ما تجشمت جلائل الأمور

ثم أذن الله للغة العربية أن تسترد مجدها التليد بإنشاء هذا المجمع الموقر الذى يضم صفوة من أئمة اللغة وفقهائها ، وجهابذة علمائها ، الخبراء بمختلف حاجاتها ، البصراء بما يجدد شبابها ويعيدها سيرتها الأولى قوية فتية موفورة . فحقق بما استن من قواعد ، وبما وثق من ألفاظ ، بشرى أهل العربية به ، على أتم وجه وأوفاه — لولا ما اعتاقه من قصور وسائله فى إعلان عمله للناس ، وافتقاره لطائفة من أمهات المراجع ، واحتياجه لمزيد من العاملين فى مختلف اللجان — ولولا شئ آخر ، أرى واجبا على وقد شرفنى المجمع بعضويته ، أن أهمس إليه به ، وهو حيرته التى طالت سبعة عشر عاما ، بين إشفاق على القديم ، ووجل من الجديد فما عدة النهضات إلا الإقدام

ولئن شئنا أن نشفق فلنشفق من الجمود والاندفاع على السواء . أو فلنشفق من الجمود أكثر مما نشفق من الاندفاع ، ولنتوسط بينهما السداد ما استطعنا إليه سبيلا . فلقد جاء فى الأثر الشريف « خير هذه الأمة النمط الأوسط : يلحق بهم التالى ويرجع إليهم الغالى » ، وإنا لهذا النمط الأوسط لمتبعون . ولنضرب لذلك الأمثال :

من قواعد صوغ المصطلحات العلمية عامة ، والطبية خاصة ، أن يحبس المصطلح على معنى بذاته متعاصما من التباسه بأى معنى سواه . ولقد لجأت اللغات الأجنبية إلى اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية فاستمدت منهما أكثر مصطلحات العلوم متوسلة إلى ذلك بأية مناسبة ، وإن كانت واهية ، من مناسبات المعنى المراد

فالمرض الجلدى المعروف بالإكزيما مثلا — من علامات دور من أدواره ظهور نقطات أو حويصلات مليئة بما يشبه الماء على ظاهر الجلد . فمن المشابهة البعيدة بين هذه النقطات وما يظهر من فقاعات على سطح الماء عند غليانه : استمدت لتسمية المرض كلمة « إكزيما » وهى كلمة لاتينية تفيد معنى الغليان ، وحبست على المرض فأصبحت علما عليه لا تنصرف إلى شئ سواه

فما عسى أن نترجم به هذا المصطلح إلى العربية ؟ إن أول ما ينبغى أن نتوخاه هو أن يكون لفظنا مفردا كنظيره الأجنبى . ذلك لأن من ضرورات استعماله أن نسوقه فى صيغة صفة أو مصدر أو إضافة أو نسبة — فى نحو قولنا : جلد متأكزم ، أو اكزيما الوجه ، أو التغيرات الاكزيمية

فها نحن أولاء قد استخدمنا المصطلح الأجنبي على جهة التعريب فأولى بالغاية . أنتوثق هـذا التعريب من فورنا غير متحرجين ، أم نتمهل لعلنا نظفر ببغيتنا من سبيل الاشتقاق ؟ لقد سبق أن ترجم هذا المصطلح اشتقاقا « بالغليان » على المقابلة بأصل المعنى اللاتيني . فهل تفي هذه الكلمة بالمراد ؟ أإذا قلنا « الغليان » أمكن أن ينصرف المعنى في ذهن السامع إلى ذلك المرض الجلدي ؟ وإن قلنا « داء الغليان » — فضلا عن أننا تجاوزنا عن مقابلة اللفظ المفرد بمفرد مثله مما هو مستحب — فقد أوجبنا التساؤل : أداء اجتماعي هو أم فردي ؟ أو نفساني هو أم جثماني ؟ وأي الأعضاء يصيب ؟ فإن قلنا « غليان الجلد » فقد أوقعنا القول في الذهن موقع حيرة وغرابة : إذ كيف يغلي الجلد ؟ وأي جلد ذاك الذي يغلي ؟

وإنما الذي أوجب كل هذه الحيرة : هو أننا استخدمنا لفظا شائعا لمعنى علمي ، فلا نحن تركناه لمعناه الشائع ، ولا نحن استطعنا أن نحبسه على المعنى العلمي المراد بعد أن انتزعناه من استعماله العام . ومن ثم فقد سلبنا اللغة لفظا من رصيدها المتداول دون أن ننتفع به فتيلا . وهـذا ما تفاداه الاصطلاح الأجنبي باستمداد الكلمة من لغة دارسة ، مما لا سبيل لنا إليه إلا أن نستمد من لفظ عربي مهجور

فإذا لم نوفق إلى مقابل لكلمة « إكزيما » عن طريق الاشتقاق على النحو الذي أوضحناه ، فلم لا نلبي من فورنا حاجة الاستعمال العاجلة باللجوء إلى التعريب ، بأن نعهد في غير تردد بكلمة « الاكزيما » لذوي الملكات المطبوعة من رجال اللغة ، ليوثقوها كما هي أو ليصقلوها بما يتسق مع الذوق العربي ، كأن يقولوا « الأكزيم » أو « الأكزيم » حسبما يرون ، في غير إغراب أو ابتعاد بالنطق عن اللفظ الأجنبي

وهبنا بعد إذ وثقنا الكلمة بالتعريب ، جاءنا من يقول إنه وجد في مادة « كزم » كلمة « التكزيم » بمعنى التقفيع ، وفي مادة « قفع » كلمة « القفعاء » بمعنى الأذن التي كأنها أصابتها نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها ، ثم كلمة « القفاعي » بمعنى الأحمر ينقشر أنفه لشدة حمرته ، وأحمر قفاعي لغية في قفاعي مقدمة القاف ، وهو قفاع لماله : لا ينفقه

وذكر القائل بعد ذلك أنه زعم بأن القفاعة إنما سميت لذلك لأنها تحتجن ماءها كما يحتجن القفاع ماله فلا ينفقه ، وأن ماتشبه القفاعات في الإكزيما إن هو إلا دور من أدوارها يسبقه دور احمرار لك أن تصف حمرته بالأحمر القفاعي ، وأن الانقشار دور من أدوار الإكزيما كذلك ، وأن الأذن التي أصابتها نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها التوحي بالأذن التي أصابتها الأكزيما بالتهاب كاذعة النار وتورم تتزوى منه أي تموج . وخلص القائل من تفسيره هذا الذي أدهشنا أشد الدهش إلى أن من حق لغتنا علينا ألا نستعير لها الألفاظ ، وإنما لتحويها .

فهل من ضير يضيرنا إذا نحن عدنا إلى الاشتقاق بعد التعريب ؟ ولماذا لا نترخص في الاشتقاق من مناداة « كزم » هذه ، فنقول « كزيمة » مثلا لاسم المرض ، « ونكزم » للفعل ، « ومكزما » للصفة ، و « تكزيما » للمصدر » . ولم لا يحق لنا أن نكمل تصريفها قياسا على مادة تشبهها ، لغير قيود لا موجب لها في لفظ مهجور رآه مدونو المعاجم أنفسهم غير جدير باستيفاء التعريب .

وأيهما أحفظ لتراث اللغة : أأن ندخل عليها لفظا أعجميا مهما صقلناه بدا في لغتنا كالرقعة المختلفة عن نسيج الثوب — أم أن نرقع ثوبنا من نسيجه نفسه فتتسق رقعتنا مع الثوب ؟

وما بالنا إذا ما ثابت علينا قواعد الاشتقاق لا تقبل الكلمة المقترحة على أي جهة من جهات القبول ؟ بل ما بالنا إذا ما اختلفنا في المفاضلة بين إكزيما وكزيمة ، لا نوثق الكلمتين معا ، تاركين للذوق العام أن يستقر على تخير إحداهما بمقتضى مزاياها في الاستعمال . وهاهنا تتضح أمامنا معالم الطريق ؛ فإن أول ما يجب أن نتجه اليه في صوغ المصطلح العلمي ، هو البحث عما إذا كان لمعناه في لغتنا لفظ يقابله ويؤدي معناه في غير لبس ولا ثقل ؛ فإن وجدناه فذاك ، وإلا بحثنا في مهجور الالفاظ عن لفظ يمت معناه للمعنى المراد بصلة دالة مميزة ، فإن استيسرت لنا بضعة ألفاظ تمت للمعنى بمختلف الصلات ، كان أولاها بالاختيار أقربها معنى وأنسبها لفظا للمصطلح الأجنبي . وليس حتما أن يكون اللفظ خفيفا وجيزا إن كان مقابله الاجنبي ثقيلا طويلا . على أنه من التوفيق أن يخف اللفظ ويقصر ، ومن غاية التوفيق

أن تكون بينه وبين مقابله مناسبة شبه فى نطق ، أو وزن ، أو مخرج ، أو حرف غالب ، مما يريده مواءمة الأصل ، وسهولة فى الحفظ ، وطلاوة فى الاستعمال — ومن ثم جدارة بالتداول .

والآن ملندع مثلنا الأول — وهو الا كزيما — بعد إذ أفضنا فيه توضيحا لبداية الطريق ، ولنضرب مزيدا من الأمثال الموجزة للاشتقاق ، فالتعريب ، فالنحت — توضيحا لسائر الطريق .

فكلمة « الأوذيما » التى عربها الرئيس ابن سينا لمقابلة الكلمة الأجنبية التى تنطق « إديما » — والتى تعنى ارتشاح الماء تحت الجلد لم لم يعربها « إديما » كما هى بدلا من « أوذيما » التى لا تطابق فى نطقها الذوق العربى ؟ .

وماالذى يفيدنا بتعريب الأولين إن لم نجد مايوجبه؟ بل لماذا لا نشتق لهذا المعنى كلمة مثل « دئيمة » من مادة « دأم » — وقد تضمنت : تدأم الماء الشيء : غمره ، بل لماذا لا نقلب هذه الكلمة فنقول « إدمة » والقلب جائز فى الاشتقاق ؟ لعل ابن سينا نفسه ، لولا تعجله بالتعريب ، ملاحقة للعلم ، لوجد فى مثلنا هذا مندوحة عن التعريب بالاشتقاق !

ومما يؤخذ على بعض الأقدمين فى تعريبهم — ولعهم بالأغراب الشديدفيما عربوادون مأحكمة فيه . فكلمة Taraxacum مثلا ، وهو نبات يشبه نبات الهندبا ، التى يمكن أن تعرب بكلمة « طرقساق » قد عربها الاقدمون — ومن بينهم ابن سينا وابن البيطار وداود الأنطاكى والطبرى — بما ينيف على الثلاثين تعريبا ، تشترك جميعا بل تتبارى فى الثقل والأغراب على تفاوت ذلك مابين « طرخشقون » و « تلخشكوك » و « تلحسكوك » و « طليخم » و « تلخ » !

لقد أسرف قدماؤنا فى التعريب حتى كادوا يجهلون ما هو أحفظ منه للغة وأدل منه على محاسنها وهو الاشتقاق ، فعربوا — مغربين فى التعريب — حيث كان يسهل بل يجزل الاشتقاق . فعلم الحساب مثلا عربوه : « أرثماطيقا » ، والتحليل : « أنا لوطيقا » وما وراء الطبيعة : « ميتا فيزيقا » .

ولعل مرد إسرافهم هذا فى التعريب إلى ثلاثة أمور : أولها جهلهم بما لأصول المصطلحات من المعانى فى قديم اللغات التى ما كانوا ليعدوا بدراستها . وثانيها مراعاتهم مقتضى الدقة العلمية بحبس المصطلح العلمى على معناه الخصيص لكى يحتفظوا بالصلة العلمية بين لغتهم وسائر اللغات . وثالثها إيثارهم سهولة التعريب وسرعته على صعوبة الاشتقاق وبطئه ، تلهفا منهم على ملاحقة عصرهم فيما نقلوه إلى لغتهم من مختلف العلوم .

ووجه العجب فى الأمر أن يكون هذا منزع قدمائنا إلى التجديد ، بينما نقف نحن حيارى نتردد ما بين المحافظة والتجديد فيلاحقوا هم عصرهم البطىء واثبين ، ونخلد نحن فى عصرنا الوثاب إلى الهوينى !

فلقد ترجمنا الفزيولوجيا مثلا بالوظائف ، وسمينا المشتغل بها « الوظائفى » . فأية وظائف هى ؟ أهى وظائف الحكومة وغيرها بالمعنى المتعارف الآن ، أم هى المرتبات على المعنى اللغوى الصحيح ؟ أإذا أردنا أن نعد ميزانية لقسم الفزيولوجيا بكلية الطب مثلا قلنا : الوظائف لقسم الوظائف تنقسم إلى وظائف وظائفيين ، ووظائف موظفين غير وظائفيين ؟ ولنقس على هذه الأمثلة ماشئنا فى سائر العلوم .

أية مفارقة هذه بين موقفنا وموقف الغابرين : إذ نتأبى نحن على التعريب حيثما يكاد يستوجب ، بينما ترخصوا هم فيه حيث لهم معدوحة عنه . ولماذا لانعرب غير هيا بين حيثما يستعصى علينا ، أو ربما ينقاد لنا ، الاشتقاق ؟ وأية غضاضة فى أن نعرب الفزيولوجيا وما جرى مجراها بأسمائها كاملة أومحورة أو موجزة ، كأن نقول « فزلثة » للفزيولوجى ، و « بثلثة » للباثولوجى ، كما قلنا فلسفة وجغرافيا وغيرهما ؟ أليست هذه التسمية أحبس فى الدلالة على المعنى المراد من أية تسمية أخرى يمكن أن نهتدى اليها اشتقاقا ؟

ولقد أقر المجمع الموقر لكل نوع من أنواع الآلات صيغة من صيغها الثلاث ، تقصر عليه ليتميز بها من النوعين الآخرين ، فلم لا نقتاس بذلك فى صيغ الأمراض : وهى فعال وفعيل وفعل نل لم لانضيف اليها بالاستعارة غيرها من الصيغ كفعلان ، فنقابل بكل من هذه الصيغ ما يناسبها من صيغ الأمراض فى الأجنبية ، مثل « Ilis » و « Osis » و « Rrhea » و « Algia » وسائر ما جرى مجراها ؟ ولم لا نتوخى طريقة منظمة فى صوغ المصطلحات ، بأن نبدأ أولا بترجمة أدوات التصدير والألحاق

# في سبيـــل الله !

للأستاذ محمد محمود زيتون

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ؛ وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . والله لا يهدي القوم الفاسقين »

قرآن كريم

القتال غريزة في البشر ، لا معدى عنها ، ولا مفر منها ، ولو تركت الغرائز وشأنها انهدم سلم التربية ، وارتكست الإنسانية في مهاوي الضلال من غير أن تقوم لها قائمة ، ولكن الإسلام الحنيف كفل للنفس منافذ الطموح إلى العزة والشرف ، فهذب الغرائز ، وارتفع بها على خير وجه مسنون

وليس أدل على ذلك من علاجه لغريزة القتال ، وتوجيهها نحو المثل الأعلى لصالح الفرد والجماعة ، فلم يترك أمامها باب شر إلا أوصده ، ولا منفذ خير إلا سلكه ، وصدق الله العظيم : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم »

ومن هنا كان القتال الإسلامي ذا صبغة خاصة لم تعهد لها شبيها في الأمم قديما وحديثا ، وذلك لأنه لا ينتهج سبيل الفتك والطغيان ، ولا يتذرع بالعصبية والحزبية ، بل يمضي في خط مستقيم لا عوج فيه ، سليما في بدايته ونهايته ، شريفا في مبرراته وغاياته ، سديدا في خطواته ومشكلاته ، فلا عجب أن يكون « الجهاد » ممهدا عاليا للتربية المثلى ، تبذل فيها النفس جهودا شاقة بكل ما لديها من جوارح ، وتمتحن فيها الغرائز الأخرى مجتمعة ومفترقة : من تعلق للدنيا ، وتمسك بزخرفها ، إلى الحرص على صلة الدم من عصابة وقرابة وجوار

وذلك السبيل لن يكون فريدا إلا إذا تناسقت هذه القوى سالبها وموجبها على سواء بحيث تنأى عن النقص والفتون ، وتنهض على أساس من التضحية والتعلية والفداء والصبر . وهذا هو الجهاد في سبيل الله ، وهو شريعة لها خصائصها وميزاتها ، ودعوة لها فلسفتها ومناهجها ، تقوم الأجيال وتقعد

---

منتقلين إلى ترجمة طائفة من المصطلحات التي تشترك في أصل الاشتقاق وتختلف في الصفات ، عامدين بعد ذلك إلى النحت فيما لا يترجم إلا بوسيلة من المصطلحـــات الأجنبية المنحوتة ؛ كأن نترجم مثلا كلمة « Ology » التي تنتهي بها أسماء أكثر العلوم في اللغات الأجنبية باستعارة الأصل العربي لكلمة لغة ، وهو لغو أو لغى . أو باستعارة لغة نفسها متذرعين لذلك بأن اللغة قوام العلم ، إذ ما من علم إلا بلغة .

ثم نترجم أداة التذييل الدالة على مشتغل بعلم أو ما في حكمه في مثل « Botanist » و « Zoologist » بحرفي الياء والتاء المنتهية بهما كلتا عفريت ونفريت ، مبالغة من عفرونفر ، فنقول مثلا « نباتيت » و « حيوانيت » بدلا من عالم بعلم النبات أو عالم بعلم الحيوان ، الذي لا نستطيع بداهة أن نسميه « حيوانيا » وإن لنا إن شئنا أن ننسج على هذا المنوال عند الاقتضاء لمثالا فسيحا .

أيها السادة :

لتضع نصب أعيننا في اضطلاعنا بما نحمل من أمانة اللغة أقوالا ثلاثة حكيمة : أولها قول الجاحظ : ما على الناس شيء أضر من قولهم : ما ترك الأول للآخر شيئا . وثانيها قول أبي عثمان المازني : إذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج بخلافه إذا وجد إلى ذلك سبيلا ، وثالثها ما جاء في كتاب نقد النثر : كل من استخرج علما أو استنبط شيئا وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطيء عليه من يخرجه اليه ، فله أن يفعل ذلك .

وبالله مهتدانا إلى قصد السبيل .

أحمد عمار

وما تزال للجهاد الإسلامى روعته وقوته ، وبهما ترتد الأذهان الكليلة المزيلة إلى القصد والرشاد

ولو حشدنا أمام الإسلام جيشا جرارا قوامه كل مافى اللغات من كلمات استفهامية تدور بالخلد سرا وجهرا للتزود من ذخيرة هذا الجهاد ، ولتثبيت الإنسان الكريم على قواعد العزة لكان للاسلام المكانة التى لا يتطاول إليها رأى أو مبدأ أو فلسفة أو زعامة ولو كان أصحابها بعضهم لبعض ظهيرا

متى نجاهد ؟ وكيف ؟ وعن ؟ ومن . . وبكم ؟ وفيم ؟ وبم ؟ ولم ؟ وأى فى سبيل الله ؟ . . هذه كلها يستجيب لها الإسلام فى هدوء ومضاء ومن غير تعثر

والاسلام يتمشى مع طبيعة الأشياء حين يفترض فى الجهاد أن يتصل ولا ينفصل ، وأن يدوم مع الحياة الفردية والجماعية من المهد إلى اللحد . وهذا ما يؤكده منطوق الآية الكريمة فى حكمها المطلق « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقوله تعالى « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال »

والارهاب هنا أمر مفروض ، وصفة لازمة لا تبرح المسلم أبدا ، ولا ينبغى له أن يتخلى عنها يوما دون آخر ، ولا يأتيها لظرف طارئ ويدعها من بعده ، ونصدق فى هذا أحاديث النبى الكريم «الجهاد ماض إلى يوم القيامة » والجهاد هنا على العكس من الهجرة ، إذ يقول الرسول الأعظم . « لا هجرة بعد الفتح ولكن نية وجهاد » ولقد حسب المسلمون — بعد تبوك — أن الجهاد قد انقطع فأخذوا يبيعون أسلحتهم لأهل الغنى والفضل ، فنهاهم عن ذلك رسول الله وقال « لا تزال عصابة من أمتى ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال » ولن يخرج الدجال إلا فى آخر هذا الزمان ، يوم يرث الله الأرض ومن عليها

ذلك بأن الجهاد من أشد مظاهر الايمان لصوقا بهذا الدين المتين ، وهو — على التحديد — أقرب ما يكون إلى دستوره ومصدر تشريعه ، فالنبى يقول « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس منى » وكذلك يقول « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله . فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » ويقول « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل »

هذا الجهاد إذن لا مقطوع ولا ممنوع ، بل هو موصول غير مفصول ، وذلك ما تقتضيه قوانين علم النفس فيما يتعلق بخصائص الغريزة ، وهى التى لا سبيل مطلقا إلى هدمها أو تعطيلها لأنها قوة محركة للسلوك ، ولن يظفر الانسان بنعمة « العافية الاجتماعية » إذا تخلى عن قوة الدفاع عن النفس ، وهذا ما يجرى فى دمه ، وهو يدفع جيوش الميكروبات الوافدة ، ويصدها عن كيانه الحصين

والمجتمع كالفرد كلاهما لا غنى له عن الدفاع ضمانا للبقاء ، ويوم يتخلى الكائن الحى عن مقومات صراعه مع الفناء ، تنمحى مظاهر وجوده وتهدم أسباب حقيقته ، فلا عجب إذا كان الجهاد من ألزم ما يلزم المجتمع السليم الذى دعائمه الراسخة حقائق دين الله

والجهاد يستجيب للدواعى الخلود حين يستخف المجاهدين إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فيها الثواب المدخر ، والجزاء المنتظر ، لكل من خلص نفسه من مثقلاتها وموبقاتها ، ولن تستقيم دعوة إلى خير وحق إلا إذا اقترنت بالترضية والجزاء الوفاق ، والتخويف من المرتع الوخم الذى تتردى فيه الشهوات بأصحاب الرذيلة ، وهذا الإعلاء فى غريزة القتال هو ما يسميه رسول الله بالجهاد الأكبر ، وما أشقه على النفس

وتحرير الوطن من الغاصبين من صميم رسالة الجهاد فى الاسلام « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف » والتمكين فى الأرض مقرون بالعقيدة العلمية والعملية ، الدافعة الرافعة معا « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا : ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله علم بالظالمين »

ولقد أعد الله تعالى الشهداء فى سبيل الله الجزاء الأوفى .

بعد أن انجروا مع الله وباعوا له أنفسهم وأنفقوا فى سبيله أموالهم « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى ما بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »

والحرص على الحياة لا ينفع بها مما تردت فيه ، ولهذا قيل « احرص على الموت توهب لك الحياة » من غير مبالاة بشئ من هذا الحطام الفانى . كما يقول الشاعر المجاهد فى سبيل الله :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله ، وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وهذا عبد الله بن الزبير يتلقى الدرس من أمه أسماء بنت الصديق ، وهو فى طريقه إلى قتال الحجاج بن يوسف ، فرعون زمانه ، إذ دخل ابن الزبير على أمه يوم مقتله ، وقد رأى خذلان الناس له فقال لها :

يا أمه ، خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ؛ والقوم يعطونى من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت ذات النطاقين لابنها :

يا بنى ، أنت والله أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن رقبتك يتلاعب بها غلمان بنى أمية . وإن كنت أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ! أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك . وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابه ضعفت ، فليس هذا من فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ .. القتل أحسن

قال عبد الله : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى .

فقالت : يابنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها

فدنا منها وقبل رأسها وقال :

هذا والله رأيى والذى قمت به داعيا إلى يومى هذا ، ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة مع بصيرتى ، فانظرى يا أمه ، إنى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى . اللهم إنى لا أقول هذا تزكية منى لنفسى . أنت أعلم بى ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى .

فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى ؛ وإن تقدمتك فى نفسى حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك .

فقال ابن الزبير : جزاك الله خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد

فقالت : لا أدعه أبدا ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق . اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

وقاتل عبد الله بن الزبير حتى قتل ومعه صفوة من أصحابه ، فقطعت رءوسهم جميعا ، وبعث بها إلى الحجاج فى المدينة ، ونصبت للناس وعبثت بها الأيدى الملوثة

وفى الجهاد الإسلامى تنطلق النفس من عقال الحياة لتسبح فى ملكوت حر فسيح ، كما أنها تنبثق من طاقة خصبة هى الحق ولا شىء سواه

هذا ما يستمسك به الزبير بن العوام وهو فى موقعة صفين إذ يقول :

« والله لو هزمونا حتى أوصلونا سعفات هجر ، لعرفنا أننا على الحق وأنهم على الباطل » وهذا عمر بن الخطاب ، وهو ما يزال حديث عهد بالإسلام ، والنبى ما يبرح مستخفيا بدعوته فى دار الأرقم فيقول :

« يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ فيقول النبى : « بلى ، والذى نفسى بيده ، إنكم على الحق إن متم وإن

حييتم » فيقول عمر : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق ، ما نق مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف . والذى بعثك بالحق لنخرجن . يا رسول الله . لا ينبغى أن تكتم هذا الدين ، أظهر دينك ، والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم

وخرج الرعيل الأول من المسلمين وعددهم أربعون فى صفين يتقدمهما حمزة وعمر ، كلاهما متوشح سيفه ، والنبى يثور حولهما ، وللجمع كديد ككديد الطحين ، وهم يطوفون بالكعبة ، يرهبون عدو الله وعدوهم ، وقد أخزاه الله بعد أن رأى ما رأى ، وأصبحت القلة التى على الحق تقرأ القرآن جهرة ، وتصلى بالمسجد علنا ، وأنف الكثرة فى الرغام

سأل أعرابى رسول الله : إن الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأيهم فى سبيل الله؟ فيقول عليه السلام : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

الحق إذن هو الباعث على الجهاد وهو بالتالى غايته ومرماه ، أى أنه يدفع بأصحاب الدين إلى أعلى ، ويجذب أصحاب الدنيا من أسفل، لهذا فهو وحدة تامة لا تتوزع ولا تتعدد ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، وليس من الجهاد أن نقاتل عن حسب أو نسب أو عصبية ، بل ما ارتضاه هذا الدين لأهله من الاتحاد « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »

من أجل هذا الصف المتسق الملتصق .. حكم رسول الله على « قزمان » بأنه من أهل النار ؛ وهو عديد بنى ظفر وقد حرضته نساؤهم على القتال مع المسلمين يوم أحد ، فأخذ سلاحه ، وجاء من خلف الصفوف حتى كان فى الطليعة وظفر بعشرة من أصحاب الألوية المشركة صرعهم جميعا واحدا بعد الآخر ، وأخذ يقول « دافعوا عن الأحساب والأنساب » ولما أثبتته الجراحة بشره المجاهدون بالجنة فسخر منهم وقال « والله ما قاتلت على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا حتى تطأ سفنا . ويقول : يا للأوس ، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثلما أصنع ، وأخيرا انتحر منافقا ، فلما ذكر للنبى قال « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »

ومن أجل هذا الصف المتساند المتعاضد . . يصعد مصعب ابن عمير أمام الفئة الباغية يوم أحد وقد تفرق شمل المسلمين وأشاع ابن قميئة أن محمدا قد قتل ، وانفض عنه من كان معه ، فيدعوهم مصعب فيتذرعون بقتل محمد للفرار فيقول لهم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » ويتنزل بذلك القرآن الكريم

ومن أجل هذا الصف الواحد المتحد « يأبى النبى كتيبة خشناء لابن أبى بن سلول قوامها أمثاله من المنافقين وأحلافه من يهود ، فيردها النبى قائلا : « لا نستعين بأهل الشرك على أهل الشرك » والله تعالى يؤيده « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »

ومن أجل هذا الصف المنتظم المنسجم .. يرد النبى يوم بدر خبيب بن يساف ، وقيس بن الحارث عن القتال فى صفوف المسلمين ، لأنهما على غير دين الله ، ولا يبتغيان غير الغنيمة ، وهما فى القتال أعظم غناء وأشد نكاية ، ولكن النبى يقول لهما « لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا » ويأبى عليهما القتال حتى يسلما . فلما أسلم خبيب قال له النبى : امض ، أما قيس فقد تأخر إسلامه إلى أحد »

ومن أجل هذا الصف المتشابك المتماسك . . يؤخر النبى — يوم بدر — الأنصار ليقدم المهاجرين السابقين إلى الإسلام وهم عشيرته ، ويقول لهم « يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا عن دينكم الذى بعث الله به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا به نور الله » فوثبوا إلى الجنة سراعا ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

ومن أجل هذا الصف الرابط المترابط .. يسابق المسلم أخاه وأباه وابنه وخاله إلى الجنة . . فينافس سعد بن خيثمة أباه ، ومعوذين الحارث أخاه عوف وهما غلامان على جانبى عبد الرحمن ابن عوف يوم بدر يتربصان لأبى جهل فرعون العرب . ويركض عمرو بن الجموح بعرجته وهيثما يحاول أولاده الأربعة أن يثنوه عن عزمه وقد عذره الله ، ولكنه يتوق إلى الجنة ويسأل الله أن

يرزقه الشهادة وألا يرده إلى أهله خائبا . ويستأذن أبو بكر قائده فى أن يقتل ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله ابن رأس النفاق يسأل النبى أن يسمح له بقتل أبيه ، وسعيد بن العاص يتجلد إذ يرى أباه صريع الشرك ، وعمر بن الخطاب يصرع خاله العاص بن هشام ، ومصعب بن عمير يأمر بالتشديد فى فداء أخيه الأسير فى يد المسلمين ، وسعد بن أبى وقاص تراوده أمه عن إسلامه وتمتنع عن الطعام والشراب حتى يكفر ، فلا يعبأ بها وهو لها الابن البار « وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما »

ومن أجل هذا الصف المتكامل غير المتفاضل .. يقف أصغر المجاهدين على بن أبى طالب إلى جانب أكبرهم سنا أبى عبيدة ابن الحارث ، ولا فارق بين حمزة القرشى وبلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ، ولا بين المهاجرى والأنصارى ، كل وبلاؤه « إن كان فى الساقة كان فى الساقة ، وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة » والأنفال تقسم بما أمر الله بين الضعماء والأقوياء على السواء ، لكل منها نصيب حسب جهاده ، فالمشاة والرماة والسقاة ، والقادة والسادة ، والركبان والعبدان جميعا فى درجات مرتبة فى الحياة والموت ، فقد كان النبى يقدم فى دفن الشهداء أعلمهم بدين الله وأقرأهم للقرآن

ومن أجل هذا الصف الزاحف الجارف .. كانت المرأة تسقى الجرحى ، وتضمدهم وتمونهم بالذخيرة ، وتترى عن رسول الله ، وتحمى الظهور ، وتدفع بأفلاذ كبدها إلى الفردوس الأعلى ، وتحتسبهم جميعا عند الله ، ولا يهمها إلا أن تسأل عن سلامة رسول الله ، وجيش حزب الله

ويدعو النبى إلى الجهاد بينما عمير بن الحمام بيده تمرات يأكلها ، فيخشى أن تسوقه عن الجنة ، فيرميها ويقول : ويحكن ، والله إن بقيت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، ويرتجز :

ركضا إلى الله بغير زاد ... إلى التقى وعمل المعاد
وكل زاد عرضة النفاد ... غير التقى والبر والرشاد

وفى سبيل الله .. يتعطل ركن من أركان الدين ، كما أمر النبى بالإفطار فى رمضان وهو فى غزوة بدر ، وأمر بتأخير العصر حتى يدرك بنى قريظة فى غزوة الأحزاب

وفى سبيل الله .. تتحرك القلة المؤمنة لتقاتل الكثرة المشركة ، « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ويقاتل المسلم بما معه والله ناصره ، فقد رمى سعد بن أبى وقاص بمرجون فارتد سيفا ، وكذلك عبد الله بن جحش وعكاشة بن محصن ، والعبرة بالإيمان لا بالسلاح ، إذ تعجب المسلمون من سيف الزبير بن العوام يوم الخندق وقد ضرب بسيفه نوفل بن عبد الله بن المغيرة فشقه نصفين ووصلت الضربة إلى كاهل فرسه فقال : والله ما هو السيف ولكنها الساعد

وثبت الله المجاهدين فى سبيله بالملائكة والريح والمطر والنعاس أمنة منه وظلوا على الحق ظاهرين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، إذ يقول نبى الجهاد « لا يبقين دينان بأرض العرب » ومن أجل هذا يكون الجهاد فى سبيل الله

محمد محمود زيتون


# دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

# دعوة محمـــد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

العرب :

كان العرب أمة جاهلية عزيزة الجانب تعيش فى بلاد كريمة ، وكأنما الله قد خلق البلاد وأهلها على وفاق بينهما ، فهناك شبه غريب بين صلابة أخلاق هؤلاء العرب ووعورتها ، وبين صلابة البلاد ووعورة مسالكها ، وبين أقفار البلاد وجفاء طباع أهلها . ولكن كان يخفف من حدة صلابة البلاد ووعورتها ، قيعان ذات أمواه ورياض فيحاء ، وكلأ أخضر نضير ، كما كان يلطف من صلابة نفوس العرب وقسوة قلوبهم ، مزاج من اللين والدماثة ورقة الطبع .

كان العرب يعيشون فى بلاد خرساء ، تحيط بهم صحراء قفراء ، تمتد إلى مدى البصر ، فتخالها بحرا من الرمل . يصطلى العربى حره طول النهار ويكافح قره طول الليل ، وقد ترك فيه هذا الجو أثرا ظاهرا ، فكنت تراه يؤثر الصمت فلا يتكلم إلا فيما له صلة به ومساس بقومه .

وإن قوما هذا شأنهم ينفردون وسط البيد ، ويتنقلون بين الرمال والجبال ، يناجون الطبيعة أسرارها ، ويشاركونها أعاصيرها وجمالها ، لا بد أنهم يكونون خفاف الحركة ، ثاقبى النظر ، حداد الخواطر ، أذكياء القلوب . وفوق ذلك فهم أقوياء النفوس متينو الأخلاق ؛ لهم من شدة حزمهم وقوة إرادتهم ، حصن منيع وحاجز يقيهم تقلبات الأخلاق عند غيرهم من الأمم ، وهذا ولا شك منتهى الشرف وذروة الفضائل ، وما بالك بقوم يضيف أحدهم ألد أعدائه ، فيكرم مثواه ، وينحر له ويقدم له أطايب الطعام ، ويؤثره بأفضل ما عنده ، فاذا أزمع الضيف الرحيل ، شيعه وخلع عليه مما تملك يداه ، وحمله ما يستطيع أن يجود به . فاذا لقيه فى مكان بعيد عن داره وقومه ، لا يحجم عن مقاتلته أخذا بثأره ، رغم ما قضياه من صحبة .

* * *

يزعم البعض أن العرب من عنصر اليهود ، ولكن هذا زعم باطل ، لا يقيمه دليل ولا يدعمه برهان ، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود فى بعض الصفات ، وامتازوا عليهم ببعضها . فقد شاركوهم مرارة الحد ، وامتازوا عليهم ، برقة الطبع وحلاوة الشمائل والوفاء بالعهد ونصرة الضعيف ، وأريحية القلب وألمعية القريحة ، فان العربى رغم أنه طول وقته يظل صامتا كما قلت ، إلا أنه إذا تكلم تدفق فصاحة وقوة ، وكان ذلك يظهر جليا فى منافساتهم الشعرية التى كانوا يعقدونها فى جنوب البلاد ، حيث تقام أسواق التجارة ، فاذا انفضت الأسواق اجتمع العرب بسوق عكاظ وتناشدوا الشعر طلبا للجوائز التى كانت تعطى لمن جاد قوله وحسن قريضه . وكان هؤلاء الأعراب غلاظ الأكباد جفاة الطباع ، ينصتون للنشيد فيجدون لرنانه أثرا قويا فى نفوسهم ، ويرتاحون لنغماته التى تأخذ طريقها الى شغاف قلوبهم .

وأرى لهؤلاء العرب فضيلة تفوق كل الفضائل ، وتجمع المحامد كلها ، ألا وهى فضيلة التدين ، فالعرب شديدو التمسك بدينهم ، مهما كان لا يقبلون فيه طعنا ولا يسكتون على تجريحه ، ولأنهم كانوا يعيشون فى الصحراء يشاهدون مظاهر الكون ، فكان أكثرهم يعبدون الكواكب وغيرها من كائنات الكون ويرون فيها مظاهر الخالق ودلائل عظمته .

وقد كان لهؤلاء العرب أنبياء سابقون جاءوهم من عند الله ، كما كان لهم أساتذة ومرشدون فى كل قبيلة ، يلتف حوله أهلها يقدرونه حسبما يبلغ من العلم والدراية وحصافة الرأى .

وكان مما اتصف به العرب المفكرون ، الحكمة البليغة والرأى السديد ، فقد اتفق النقاد على أن « سفر أيوب » أحد أجزاء التوراة ، كتب فى بلادهم ، والدليل على هذا ما يمتاز به من فضل وشرف وحكمة . فهو أبرع ما سطر وأبلغ ما كتب ، ومما فيه من عمومية الأفكار التى تخالف التعصب البغيض الذى يمتاز به العبرانيون . وسموها وشرف مقاصدها ، ويكفى أنك تجد بهذا

الكتاب اتصالا بكل نفس رأته بمت إلى كل قلب ، وأنه كالبيت العريق والمجد الأثيل ، يفضى إليه منتهى السبل ، ويتجمع فيه الأرج الضائع ، وتحاول الانتساب إليه جميع الأنوق ، فيه من الحزن الشريف آيات بينات ، ومن التوكل الحسن الجميل دلائل ناصعة على قدرة الله وتدبيره الكون . وما بالك بكتاب يكون أول ما جاءنا عن مسألة المسائل . حياة الانسان وما يكون له من نصيب فى هذه الدار وفى الدار الآخرة ، وما يكافىء الله به الإنسان على عمله ، كل ذلك فى يسر وسهولة وبصاعة بيان ، إنه الحق من حيث أتيته ، والنظر الثاقب والعلم الراسب فى قرارة كل شىء وصميم كل أمر ، مادى روحانى . وإن دل كل هذا على شىء فانما يدل على فهم عزيز وبصيرة نافذة .

ما قرأت فيه يوما إلا امتلأت نفسى سموا ورفعة ، وأحس كأن قلب الإنسانية يترنم شجى ووجدا ، ودمعها يفيض حرقة وكمدا . إنها الرقة فى شدة والرأفة فى قوة ، وما أشبهها إلا بسحر الليلة الصائفة ، نسيم عليل والوجود فى جلال مشهد جليل عظيم . بل ما أشبهه بالكون وكل ما فيه من ليل ونهار وأنجم وبحار وحيوان وأطيار ، ولن أكون مغاليا إذا قلت : إنه ليس فى جميع أجزاء التوراة جزء يعادله قيمة وفضلا وقوة وبلاغة .

## محمد النبى :

فى هذه البلاد وبين هؤلاء العرب الذين ذكرت لك بعض سفلتهم ، ولد محمد ( صلى الله عليه وسلم ) سنة ٥٧١ ميلادية من قبيلة قريش ، أعز القبائل جانبا وأرفعها شأنا ، ومن أعرق أسرها نسبا وهى أسرة بنى هاشم . واشتهر محمد بالجمال والعقل والفضل على صغر سنه ، وقد أبصرت عين جده الحرمة ابنه عبد الله الذى كان حبيبا الى قلبه فى صورة حفيده محمد فأحبه بملء قلبه ، وكان يقول : بحسن العناية بهذا الصبى فانى أرى أنه سيفوق كل أفراد الأسرة والقبيلة فضلا وحسنا ؛ وعندما أحس الشيخ بدنو أجله عهد إلى ابنه أبى طالب الذى يعتبر أكبر الأسرة ، والذى سيتولى مكان عبد المطلب ، وكان رجلا عاقلا ، بالعناية بمحمد ، والقيام على تربيته أحسن القيام ، فكان أبو طالب عند حسن ظن أبيه ، فقد أولى الغلام عناية فائقة .

فلما اشتد عود محمد وترعرع ، صار يرافق عمه فى أسفاره فى التجارة ، وكان لهذه الأسفار أثر كبير فى نفسه وفى حياته ، فقد حدث فى إحدى رحلاته إلى بلاد الشام ، عندما بلغ حوالى الخامسة عشر ، أن وجد نفسه فى عالم ذاخر ، إزاء مسألة عظيمة الأهمية جليلة الخطر فى نظره ، وهى المسيحية التى تحدث عنها أمامه الراهب سرجاس ( بحيرا ) يوم سكن معه محمد هو وعمه

كان محمد لا يعرف إلا لغته ، فلم يكن ما يراه من أحوال الشام ومشاهدها إلا مزيجا من أمور لا يفهم لها معنى ، غير أنه كان يرى بعينه الثاقبة النافذة ، ومكس نظره على لوح فؤاده أمورا وأشياء كثيرة ، رسبت فى أعماق ضميره ، وإن يكن لم يفهم منها شيئا ، ولكنها بقيت ريثما يفسرها له الزمن وتجلوها الأيام ، لتخرج آراء ونظرات نافذة وعقائد راسخة ، فكانت هذه الرحلة لمحمد بمثابة فاتحة خير كثير وفوائد عظيمة فى عالم الرسالة التى أمر بتبليغها

لم يكن حظ بلاد العرب من العلم فى ذلك العصر موفورا فقد كانوا حديثى عهد بصناعة الخط ، فنشأ محمد كغيره من أبناء البلاد لا يعرف القراءة ولا الكتابة وبالتالى لم يتلق دروسا عن أستاذ أو معلم ، بل تلقى علومه من الصحراء وأحوالها ووديانها وهضابها ، واستطاع بقلبه أن يتلقى من هذا الكون اللانهائى درسا من أعظم الدروس فائدة وأكثرها عمقا ، دفعه إلى تدقيق النظر فى معبودات قومه ، فوجدها أحجارا لا تنفع ولا تضر ولا تدفع شرا ولا تجلب خيرا

لا غير على محمد أنه لم يكن يعرف علوم الأرض كلها وما يضطرب فيه العالم . فقد كان فى غنى عن ذلك كله بنفسه ونظره الثاقب وقلبه الكبير . إنه لم يقتبس من نور أى إنسان غيره ، ولم ينهل من منهل أحد ، فلم يكن كغيره من الأنبياء والعظماء الذين سبقوه ، والذين استعانوا بغيرهم يتلقون عنهم ويتعلمون منهم ، وإنما نشأ وعاش فى كبد الصحراء بين الوهاد والجبال والأعاصير والرياح ، بعيدا عن كل شىء إلا من الطبيعة الفياضة وأفكاره الدافقة . والذى يعرف تاريخ محمد منذ نشأته يرى أنه منذ صباه كان دائم التفكير ، يتجه ببصره نحو الكون العجيب ، فلما

بلغ مبلغ الشباب أخذ يعتزل الناس شهرا كل سنة — وهو شهر رمضان الذى يصومه المسلمون الآن — فينقطع عن الناس مؤنسا بالوحدة والسكون. متأملا فى هذا العالم الواسع الذى لا نهاية له، كان يخلو إلى نفسه يناجى ضميره بين الجبال الصماء، متجها بقلبه وعقله لأصوات الكون الغامضة الخفية يستطلعها أسرار الكون، ويستجليها ماغمض عليه. حتى إذا بلغ الأربعين من عمره وأقبل شهر رمضان، خلا إلى نفسه بجبل حراء قرب مكة، وقد استصحب معه هذه المرة زوجته خديجة وأنزلها فى مكان قريب من الغار.

وبينما هو بتعبد ذات يوم، نزل عليه الملك الأعظم وأخبره بما كان يحير فكره ويجلا له غامض الأسرار، وأرشده إلى ما يبحث عنه، فخرج إلى خديجة يخبرها أن الله تفضل عليه فأنار له الشبهة وجلا الشك، ثم أخبرها أن جميع هذه الأصنام التى يعبدها قومه ليست إلا أخشابا وأحجارا حقيرة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، وأن الحقيق بالعبادة هو الله الذى لا إله إلا هو، وأن سائر الكائنات ليست إلا ظلا له ودليلا على عظمته وقدرته، إنه النور الأبدى والسر السرمدى. الله أكبر ولله الحمد

أصغت إليه زوجته فى دهشة واستغراب، ولكنها مالبثت أن آمنت به وصدقته وقالت « إى وربى إنه الحق » وقد رأى محمد فى ايمانها بكلمته، جميلا يفوق كل جميل، فشكرها على هذا الصنيع وعرف لها هذا الجميل طوال حياتها، فكان يذكرها دائما بالخير والثناء، حتى أن زوجته عائشة التى اشتهرت بالفضائل بين المسلمين طول حياتها، ربما لها عند محمد من مكانة، سألته مرة: « ألست الآن أفضل من خديجة؟ هل كانت إلا أرملة قد ذهب جمالها، وأرى أنك تخصها بالحب أكثر » فرد عليها محمد فى شىء من الغضب « لا! والله لست أفضل منها وكيف تكونين آثر منها عندى وهى التى آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء ».

لقد عرف محمد لخديجة صنيعها، فليس أروح لنفس المرء وأثلج لصدره من أن يجد له شريكا ينضم إليه فى اعتقاده ويقف بجانبه وقت المحنة والشدة، ولقد قال نوفاليس: « ما رأيت شيئا قط أوثق لاعتقادى وآكد ليقينى من أن ينضم إلى إنسان آخر يوافقنى رأيى ويعتقد عقيدتى ».

### جهاد محمد:

خرج محمد إلى قومه يذكر لهم رسالته ويدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، فكان يصادف جمودا من قومه وسخرية لاذعة، كفيلة بأن ترد أى إنسان عن أعز شىء عنده وأن تحطم أقوى الأعصاب صلابة وقوة، فقد قضى أعواما ثلاثة فى جهاد متواصل فلم يؤمن بدعوته إلا ثلاثة عشر رجلا، فهل هذا يعد تشجيعا؟ إن كان يعتبر هذا تشجيعا، فبئس هذا التشجيع، ولكنه المنتظر فى كل دعوة كدعوة محمد، فى قوم لهم عقائد وعبادات يعتزون بها ويتمسكون.

وبعد هذه الأعوام الثلاثة جمع أربعين رجلا من ذوى قرابته، وقام فيهم خطيبا، ذكر لهم دعوته، وما أوحى الله به إليه وأنه يريد أن ينشرها بين الناس وفى أنحاء الكون، فمن منهم على استعداد لأن يمد له يده ويأخذ بناصره وهم أهله وعشيرته. فدهش القوم وتملكهم العجب وسادهم صمت رهيب، وبينما هم فى صمتهم، هب من بينهم شاب فى السادسة عشرة من عمره وقد غاظه سكوتهم، فصاح بصوت كأنه الرعد، إنه ذاك النصير والظهير، هذا الشاب هو على بن أبى طالب. فسخر القوم منه وانفضوا ضاحكين، ولكن الأمر لم يكن مما يسخر منه بل كان فى غاية الجد والخطر.

لقد كان فى عمل محمد، إساءة لقريش، سدنة الكعبة وخدمة الأصنام، فسرى أمره ببطء شديد لا يشجع أحد ولكنه كان سريانا على كل حال

ودأب محمد يؤدى رسالته إلى كل من يصغى إليه، فكان ينتهز مواسم الحج فيذكر دعوته بين الحجيج مدة إقامتهم بمكة ويستميل الاتباع هنا وهناك، وهو فى أثناء ذلك يلقى مجاهرة بالشر، ومقابلته بالعداء ومنابذة ومناوءة فى كل مكان، فاستقر رأيه هو وأصحابه على الهجرة إلى الحبشة. فلما علمت قريش بذلك ساءها الأمر وتضاعف غيظها من محمد وحقدها عليه فأقسمت بآلهتها لتقتلنه بأيديها، وشددوا عليه النكير فلم يستطع تنفيذ

خطته ، وصار موقفه حرجا فى غاية الحرج وخصوصا بعد موت زوجته خديجة وعمه أبو طالب اللذان كانا له نعم المعين ونعم النصير ، فجعل يختبئ فى الكهوف وقومه يطاردونه من مكان إلى مكان ، تتوعد المهالك وتتهدده الحتوف ، وتتقذف له المنايا أفواهها ، ويقف محمد يتلفت فلا يجد ناصرا ولا مجيرا ، ولكن الأمر الذى جاوبه ذلك الأمر العظيم ، لم يكن ليتهيأ على مثل تلك الحال ، ومحمد ذلك الصابر القوى الإرادة الثابت العزيمة ، لم يكن ليوهن من عزمه كل ذلك الاضطهاد والمطاردة ، ليتوقف عن أداء رسالته

فلما اشتد أذى الكفار له وحنقهم عليه وكان قد انقضى ثلاث عشرة سنة على دعوته لقومه ووجد أعداؤه يتربصون به جميعا ، وقد تجمع منهم أربعون رجلا يمثلون جميع القبائل ، ليقتلوه ، عرف أن مقامه بمكة أصبح مستحيلا ، لا يستطيع معه أداء مهمته ، هاجر إلى يثرب حيث استجاب لدعوته أهلها الذين سموا بالأنصار وسميت البلده بالمدينة . أى مدينة محمد

وكان محمد إذ ذاك قد صار شيخا كبيرا فقد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولكن أهل مكة ما إن علموا بمكانه حتى أخذوا يلاحقونه برسائلهم وغاراتهم وكيدهم وعدائهم ، فرأى أنه لا سبيل إلى الحياة ونشر الدعوة إلا إذا امتشق الحسام ، الذى يزيل حدة كالحات المحن ، فقد كان أمامه سبيل وعر وخطة تكراء وقوم يملأ العناد قلوبهم ، فإذا لم يجد من نفسه قوة على مجالدتهم ، كان مصير دعوته الزوال ، وهكذا شأن كل إنسان فى مثل هذه الأحوال . والحق أقول ، لقد كان محمد يريد أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكن ما حيلته إزاء هذه الصعاب ، فعزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه وعن دينه دفاع رجل ثم دفاع عربى حر كريم . وكأنى أسمعه يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب ، فلينظروا أى فتيان هيجاء نحن

رحقا رأى وحسنا فعل فإن أولئك القوم الذين صموا آذانهم عن سماع كلمة الحق وغلفوا قلوبهم عن شريعة الصدق ، وأبوا إلا الاستمرار فى ضلالاتهم ، يسلبون وينهبون ويقتلون النفس التى حرم الله قتلها ، ويستبيحون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ويفاخرون بإتيان الآثم والمنكر ، قد جاءهم نور من الله وكتاب مبين يدعوهم بالرفق والأناة ، فأبوا الاعتوا وطغيانا . فما على محمد إلا أن يحمل الفاصل بينه وبينهم السند والوشيج والقوم ، وإلى كل ساعدة جرداء ومسرودة حصداء ، حتى تلين قناتهم هزين

وهكذا امتشق محمد وأصحابه الذين باعوا أنفسهم فى سبيله وفى سبيل دعوته ، سيوفهم عشر سنوات فى حرب وجهاد لم يهدأوا لحظة ولم يستريحوا غمضة عين وهو يقودهم من نصر إلى نصر كأعظم ما يكون القائد العبقرى وكأشجع ما يكون المقاتل ، فقد كان يقف وسط المعركة لا يهاب ولا يخشى ، بل كان أصحابه يلوذون به فى كثير من الأحيان ، وبذلك استطاع أن ينشر دينه بين أبناء الصحراء وأن يفتح مكة التى خرج منها خائفا يترقب

الطبيعة تنصر الحق :

تحدث كثيرون عن نشر محمد دينه بحد السيف ، واتخذوا هذا دليلا على كذبه وأنه واحد من أولئك الطغاة المتجبرين الذين يريدون المجد والحياة ونشر مبادئهم بالقوة سواء كانت صالحة أم ضارة ، ولكنهم يخطئون كل الخطأ وشد ما يتعسفون فى هذا القول . فهم يقولون : ( إنه لولا السيف والحرب لما انتشر دين محمد ولما وجد أنصارا ) ولكن غاتهم أن قوة هذا الدين هى التى أوجدت السيف ، هذا الدين الذى نشأ فى رأس واحد فقط وهو محمد ، الذى وقف ضد العالم أجمع ، فإذا تناول هذا الإنسان سيفه وقام فى وجه الدنيا ليسمع العالم صوته القوى وحجته الدامغة ودعوته الصادقة ، نعتناه بالكذب ووصفناه بالطغيان والجبروت وانتقصنا منه ومن دعوته ، إنه وربكم أيها المتكبون ما انتصر هذا الدين إلا أنه الحق ، فقلما يضيع إنسان يدعو دعوة الحق والصدق ، إذ أن الحق ينشر نفسه بأنه طريقة مهما كان نوعها

لقد كانت النصرانية لا تتوانى فى استخدام السيف فى كثير من الأحيان ، وحسب هؤلاء الطاغين ما فعله شرلمان بقبائل السكسون ، فلا ضير على الحق أن ينتشر سواء كان باللسان أم

بالسيف أم بأى نوع من الأنواع ، لأن الحقائق يجب أن تنتشر ويظلل سلطانها كل مكان سواء كان ذلك بالخطابة والكتابة أم بالحديد والنار

لندع الحق يكافح ويجاهد بالأظافر والأيدى والأرجل ، وسنرى بعد ذلك أنه سيخرج من المعركة منتصرا مهما كانت شدتها ومهما طال مداها . وأنه سيفنى كل ما هو أحط وأدنأ ؛ إن الحرب بين الحق والباطل حرب لا حكم فيها إلا للطبيعة ، ونعم الحكم ما أعدله وما أقسطه . ونحن لا نخشى على الحق الانهزام لأنه أعمق جذورا وأكثر إعراقا فى الطبيعة ، أو التهريج والجلبة والضوضاء فلا حياة لها ولا مقام أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

لقد قلت إن الحكم بين الحق والباطل للطبيعة وما أقسط وأعدل هذا الحكم بل ما أرأف وأرحم . أتسم ترون أننا نأخذ الحبوب فنجعلها فى جوف الأرض وكثيرا ما تكون هذه الحبوب مختلطة بالتبن والقمامة والتراب وغير ذلك من الأقذار ، إننا نلقى الحبوب بجميع ما يخالطها من القذى والأوشاب فى بطن الأرض العادلة الرحيمة ، فلا تلبث أن تخرج لنا نباتا نقيا خالصا ، أما القذى والأوشاب فإنها تفنيه فى باطنها وتطوى كشحا عنه ولا تذكر عنه شيئا . وهذا هو عمل الطبيعة فى جميع أحوالها وشئونها فهى حق لا باطل فيه ، وهى عادلة رحيمة حنون عظيمة ، وهى مع ذلك لا تتطلب من الشىء إلا أن يكون حر المعدن صادق اللباب ، وهى كفيلة بحمايته وحراسته .

أما إذا كان دخيلا عليها ردىء المعدن فإنها تلفظه وتلقى به إلى الأنواء والأعاصير فلا يلبث أن يندثر ويذهب هباء .

إننا نرى أن لكل شىء تحتضنه الطبيعة وتحميه روحا من الحق والصدق ، فإن شأن الطبيعة مع كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا العالم أو يقدر لها المجىء إليه ، شأنها شأن الأرض مع بذور الحبوب ، فالحقائق خليط من نور وظلام وحق وباطل وصدق وكذب ، وهى تأتينا فى صور قضايا منطقية ونظريات عملية ، ثم لا تلبث أن يخنق خطؤها ويتغلب النور على الظلام ويظهر الحق على الباطل ، فتموت الحقيقة ويفنى جسمها لأنها كائن ، ولكن روحها يبقى أبد الدهر ، ويتخذ ثوبا أنقى وبدنا أطهر ، ولا يزال ينتقل من جيد إلى أجود ومن حسن إلى أحسن ، سنة الطبيعة التى لا تتبدل ، ولن تجد لسنة الطبيعة تبديلا .

إن جوهر الحقيقة وروحها لا يدركه الفناء ولا يعدو عليه الزمن ، ولكن الشىء العام والأمر الوحيد هو هل روح الحقيقة وجوهرها حق وصوت من أعماق الطبيعة ؟

إن ما نسميه بقاء الشىء أو عدم بقائه ، ليس بذى أهمية عند الطبيعة ، إنما الأمر المهم عندها ، هو هل هذا الشىء فيه جوهر حق وروح صدق أم لا .

فإذا تقدمت أنت مثلا أيها الإنسان إلى الطبيعة لتصدر حكمها فيك فإنها لا تسألك أفك أكدار وشوائب أم فيك صفاء ونقاء ، وإنما تسألك أفيك روح وجوهر ، أفيك حق وصدق ؟

فإن كان فيك حق وروح ، فإنها تصدر الحكم لك ، واعلم أنك خالد أبد الدهر باق رغم تقلب الأعاصير والأنواء .

إن كثيرين من الناس يقولون لك إنك نقى نظيف ، وربما تقول لك الطبيعة ، نعم إنك نقى ولكنك قشر ، وباطل وكذب وزور وجسم بلا جوهر ولا روح ، وإنك مجرد اصطلاح وليس بينك وبين الحق صلة ولا سبب وإنها منك برآء . وعند ذلك فقد كتب عليك الفناء مهما امتد بك الزمن ، لأن الطبيعة تقول إن البقاء للجوهر والروح .

« أسيوط » عبد الحافظ عبد الموجود


ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

# الشعب المقلم

للاستاذ أحمد قاسم أحمد

لا أعتقد أن هناك شعباً وهب الحيوية الدافقة ، والاستعداد الشره للتطور والرقي ، والعقلية الساعية للتجديد والابتكار ، ومسايرة ركب الحضارة والتمدن ، مثل ما وهب ذلك الشعب المكروب ... شعب مصر ... !

ولا أعتقد أن هناك ظلماً وقع على هذه القوى الحية الدافقة عند أي شعب من شعوب الأرض ، مثل الظلم الذي وقع عليها عند هذا الشعب المنكوب .. شعب مصر ... !

ذهب قصار النظر في ميادين الاجتماع ، ودراسة نفسيات الشعوب ، إلى اتهامه بما يشين ولا يشرف . قالوا إنه شعب ألف الخنوع والذلة ، واستنام إلى الضعة والمهانة ، وآثر حلاوة اللقمة مع الذعات السوط ، على مرارة الكفاح مع عقبى الحرية ... وهذه هي الفرية التي ظلها الاستعمار حقيقة ، فراح يستهين به أي استهانة ، ويلهو بأفراده أي لهو .

فهم القطيع العامل إن احتاج إلى العاملين ...

وهم العامل الساخر لرصاص أعدائه إن اشتدت به الكربة في الميادين ، وهم الملهاة الساخنة إن رغب في التفريج عن جنوده المكدودين . ومن هنا قال قائلهم : إن ثورة المصريين جذوة تطفئها بصقة ... ! ولكن الحقيقة الماثلة كانت تكمن وراء ذلك. كانت تستقر في أعماق كل فرد من أبناء هذا الشعب ... كان الشعور بالحرية والسيادة ليس عنصراً دخيلا على نفسه ، بل كان تراثاً ممجوناً فيما ورثه عن آبائه وأسلافه ، وعن طريقه نهض يدفع ويدافع ، ويبذل ويضحي في كل ثورة ثارها ، حمل لواءها وأوقد نارها ، واستدارت عينا الدخيل دهشة وعجبا ، وتراءت له الحقيقة ساخرة ، تصرخ في وجهه في قوة وجبروت ، أو تهزأ من ظنه في سخرية واحتقار ... وبانت له الهوة العميقة التي عاش في قرارها ردحا من الزمن ، يألف أن يحس الحداد ، ولا ينفي أن يشتمل الرماد ، ولكن لا يسمح لنفسه وخياله أن يسبغا على الحلان الوديعة يوما صفة الثورة للكرامة ، والعزة للسيادة .

وذهب يتحسس طريقه بعيون عاشية ، وأبصار غائمة ، ونفوس هامة ، فأقبل بالحيلة والمكر ، يقدم الاستقلال في طبق المعاهدة ، فيحيله من غذاء نافع إلى سم ناقع ، ومن حقيقة زاهية إلى أكذوبة واهية ، ينخدع لها السذج الأغرار ... وجازت الحيلة على الزعماء فأقبلوا على الوجبة المسمومة بشهية مفتوحة ... ! وطفق الإنجليز يستمدون لملاقاة الشعب من جديد .

أشرفوا على الجيش فنكبوه وأماتوه ... وساعدهم المتزعمون بالرضا والتشجيع ، فتركوا قوانينهم الزرق توثق الشعب باليمين والشمال : فالإعفاء من الجندية للدافع والحافظ ...

وحمل السلاح محظور ... والاجتماعات لها عندهم نصوص وعقوبات ... ! وهكذا التفت الشعب فوجد أن ما بذل من دم وعرق ، عاد عليه قيداً يذل ، وسيفاً يرهب ، وتشريعاً يجور ... !

وهكذا نشأ الجيل الحاضر : جيلا لا يعرف كيف يمسك سكينا ، ولا يصوب بندقية ، ولا يرمي قنبلة ...

نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر ، له الفم وليس له الناب ، له القوة ولكن لها ما يحطمها ، لها الحشيش والأفيون والكوكايين والهيروبين . تخدر الأعصاب فلا تحس برواعد النذر تدوي كل يوم حول آذان لا تسمع ، وتبرق كل آن أمام نواظر لا ترى ... ورضي — هذا الجيل — لنفسه أن تسمح لغيرها — في الحرب الثانية — بالدفاع عن أرضه ... ناسيا أنها سبة لا تغسلها إلا هبة ، وعار لا تمحوه إلا نار ... !

واستنام الإنجليز للمرة الثانية ؛ فقد استطاعوا أن يمدوا أيديهم إلى مواطن القوة في الشعب فخنقوها ، وإلى الشدة التي تنزو بالعزة والأباء في النفوس فخففوها ... وباتوا وأصبحوا ... فاذا قطيع يضرب ولا تفاء ، ويحلب ولا استعصاء ، ويستحث ولا إبطاء ... ورقصت الفرحة في عيونهم رقصة النصر ... !

ولكن الجفاف الذي أصاب الشدة كان طارئا فزال ، ومؤقتا فانقشع ، وعادت تنزو من جديد ... ! وعربدت في الصدور نوازع الشمم ، عنيفة كأقسى ما يكون العنف ، قوية كأعنف ما تكون القوة ، وآثر — القطيع — هذه المرة أن يكون حذرا

# الضمير البريطاني

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أعلنت مصر في ٨ تشرين الأول سنة ١٩٥١ إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقيتي سنة ١٨٩٩ على السودان رفعة رئيس

---

واعيا ، وأن يجتث الشر من أصوله . لقد رأى المعاهدة تفرض على كل يد قيدا ، وعلى كل عين غطاء ، وعلى كل كتف نيرا ، فألغاها . ورأى الاحتلال يسيمه خسفا ، ويقتله جوعا ، ويرفع على ظهره سوطا ، وأيقن أنه لا يدفع بيد عارية ، وأفواه خاوية ، فهب يدفع كل ذلك عنه ، ثم بدا وفي كفه الخراب ، وفي فيه الناب ، وفي قلبه العزم .

بدا وفي يده المدفع ، وفي جيبه القنبلة ، وفي منطقته الرصاص ، وتحت إبطه اللغم ... !

وزحف إلى هناك .. إلى القتال ... وفي هدوء وسكينة ، راح يشعل اللغم تلو اللغم ، ويستقبل الفزعين من أعدائه بالمدفع ويطارد فلولهم بالقنبلة ... ! يقتحم الشوك ويجتاز الترع ، ويلاقيهم وجها لوجه ، قوة لقوة ، وسلاحا لسلاح . وعنده فوق ذلك الإيمان بالحق ... والإيمان بالنصر ...

وعندهم دون ذلك الإحساس بالتفاهة ، والشعور بالحرج والحجة التي سقطت من بين أيديهم ، والفزع الذي وقع في قلوبهم ... !

لم يكن ما يأتيه هذا الشعب اليوم العجب أو غريبه ، قدر ما كان استجابة صادقة لتلك النوازع الأصيلة الموروثة في أعماقه ... ألا فليشهد العالم وليسمع إن رغب عن أن يشهد ، وليعلم إن رغب عن كلا الأمرين ، أن كل مصري يقول اليوم : أنا مصر ... ومصر أنا ... لا ذلة ولا هوان ، ومرحبا بالقوة التي تحاول إرغامي على إنكار هذه الحقيقة ... مرحبا بها ... فالمدفع في يدي ... والقنبلة في جيبي ... والذخيرة في جعبتي ، واللغم تحت إبطي ... والله معي ... والفداء ... أنا ... !

أحمد قاسم أحمد

وزراءها في بيانه الحاسم الجامع في مجلس النواب المصري . ولقد استقبل الناس هذا النبأ بالدهشة والوجوم في انكلترا . وبالسرور والتقدير في الأقطار الشرقية وبعض الأقطار الأوربية والأمريكية المحبة للسلام والديمقراطية ، ففي هذا الإلغاء معنى رائع من معاني الوعي واليقظة ، كما أن لهذا الإلغاء نتائج خطيرة ذات أثر بعيد في حياة الشعوب التي لا تزال تقاسي من المستعمرين والاستعمار ألوانا من الضغط والإرهاق وأنواعا من الظلم والعذاب

في هذا الإلغاء دليل قاطع على رغبة الشعوب الشرقية في التحرر والانطلاق وعلى أنها لم تعد تصبر على الأساليب التي كانت تسير عليها دول الاستعمار في القرن التاسع عشر من ادعاء مسؤولية المحافظة على الأمن والنظام في البلاد المتأخرة ومن انتحال التهمات في تمدين الشرق وترقيته ، وعلى أساس هذه التعليلات كان المستعمرون ( وفي مقدمتهم بريطانيا ) يقاومون الحقوق الوطنية والنهضات القومية

لقد أقدمت مصر على الإلغاء والتخلص من قيود الاستعمار بعد أن صبرت طويلا ، وبعد أن قامت بمحاولات واتصالات متعددة ومفاوضات متكررة ، ولكن الجانب البريطاني — وقد سار بعقلية القرن التاسع عشر — أبى أن يخضع للحق الصراح والحجج الدامغات ؛ كما أبى أن يدرك أن حق الشعوب في الحياة الحرة الكريمة حق مقدس قامت على أساسه مبادئ هيئة الأمم المتحدة ، أقول : لقد أبى الجانب البريطاني أن يخضع وأبى أن يدرك أن الشعوب في القرن العشرين لا تحكم بعقلية القرن التاسع عشر ، ولا بالأساليب الرجعية ، فكان هذا التمرد على الاستعمار وقيوده في الهند وإيران والملايو ومصر ، وكانت هذه الثورات على الظلم والطغيان

لقد استهترت بريطانيا بحقوق الشعوب واستهانت بكرامتهم ولم تقيد نفسها بما توجبه عليها المعاهدات من التزامات وواجبات بل راحت تسير في معاملة مصر على أساس الاستغلال والاستعباد والاستخفاف بالعقول والحقوق

وقد يسأل أحد الناس : ألم يدرك الشعب البريطاني — وقد بلغ شأوا بعيدا في التقدم المادي والثقافي — أن الأساليب

الاستعمارية لم يعد يحتملها أو يصبر عليها أحد ؟ وما هو التعليل لعدم يقظة الضمير البريطاني ولوقوفه جامدا أمام الأساليب التحكمية والاستعمارية التي سارت عليها الحكومات الانكليزية؟ وهل ما يجري في المستعمرات وفي البلاد التي ابتليت بالانتداب يتماشى مع روح العصر وتقدم الأفكار ويقظة الضمائر ؟

إن الشعب الذي يستسيغ مأساة فلسطين وإقامة دولة إسرائيل بعد أن مهدت حكومته لتشريد مليون عربي وسلب أموالهم وحقهم في الحياة في بلادهم ، ويستسيغ المظالم التي صبها الاستعمار البريطاني في الهند وإيران والتي لا يزال يصبها في بلاد العرب والملايو - أقول إن هذا الشعب الذي يستسيغ كل ذلك ، ولا يوقف الأساليب الباغية التي تلجأ إليها حكوماته لهو شعب ناقص التربية جامد الضمير

ذلك لأن التربية التي لا تنمي في الشعب روح العدل الشامل وروح الخير العام وروح النفور من الظلم والاعتداء لهي تربية ناقصة قد طغت عليها المادية والنفعية فأعمت ( الشعب ) عن الحق والحقائق فضاق أفقه وأصبح لا ينظر إلى القضايا والمشاكل إلا من زاوية مصالحه الخاصة

ومن يدرس مذاهب بعض الفلاسفة الانكليز يتبين له السر في جمود الضمير البريطاني ؛ فمذاهب الفلاسفة الاخلاقية توضح لنا المثل الأعلى الذي كان لهذا الشعب أو ذاك ، ويمكن اتخاذها مقياساً لتقدم الضمير الإنساني لقد برز في انكلترا في القرن التاسع عشر الفيلسوف ( جون ستيوارت مل ) وهو صاحب مذهب خاص في الأخلاق يطلق عليه مذهب النفعية ( يوتيليتريا زم ) ويقوم هذا المذهب (أو هذه النظرية الأخلاقية) على اعتبار المنفعة أساسا للأخلاق . وقد أتى ( مل ) في شرح ذلك على بيان تحليل غريزة حب المنفعة وإرجاع الفضائل إليها مستعينا في هذا بعلم النفس والاجتماع . وليس المجال الآن مجال تفصيل هذا البيان ، ولكن يمكن القول أن مذهب ( مل ) في النفعية لم ينته إلى الغاية التي أرادها له بعض الفلاسفة ، بل جنى على الأخلاق ونزل بها عن مستواها العالي بجعله ( المنفعة ) أساس كل عمل وإرجاعه الأعمال الأخلاقية إلى بعض الغرائز والقوى النفسية . وعلى هذا تسير الأخلاق على ضوء الغرائز والميول بدلا من أن تضبط الأخلاق وما في الإنسان من غرائز جامحة وميول عنيفة

لقد تأثر الانكليز بهذا المذهب فساروا في أخلاقهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم على أساس ( النفعية ) وساروا ميولهم وغرائزهم وكيفوا أخلاقهم عليها ، فكان هذا الطابع الذي تميز به الانكليز على سواهم وهو ( مصلحة بريطانيا فوق جميع المصالح ) حتى ولو كان في ذلك الاضرار بالناس والاستهتار بحقوق الشعوب والاستهانة بالكرامات

ولهذا لم يعد مجال للدهشة أو العجب من الخلق الإنكليزي ومن تسييره في الطرق المؤدية إلى المصلحة الذاتية أو الخاصة ، ولا من عدم تقدم الضمير البريطاني على الرغم من التقدم الكبير الذي أصابه الانكليز في سائر ميادين الحياة . فسياسة الانكليز الخارجية واتجاهاتهم الخلقية تتحرك كلها في دائرة النفعية والاستغلال . وهم ينظرون إلى حقوق الشعوب الأخرى ومصالحها وإلى الإنسانية من زوايا مصالحهم ومنافعهم . وقد نجحت هذه السياسة وهذا السلوك بعض الوقت في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، ولكن بعد أن تقدم العلم هذا التقدم العجيب وبعد أن استيقظت الشعوب فهبت من غفلتها أصبح من المستحيل على بريطانيا أن تنجح في أساليبها وخططها الاستغلالية

وهذا ما يجب أن يدركه الانكليز حكومة وشعبا

ويقولون إن العقلية البريطانية تمتاز ( بالمرونة ) ، ولكنها ( كما يبدو لي ) مرونة بطيئة جامدة لا تساير روح العصر ولا تتحرك في إطار التقدمية . وعلى ذلك فقد فشلت السياسة البريطانية في الشرق في هذه الأيام ، فتتابعت عليها النكسات مما يهدد مصالحها ويؤدي إلى القضاء على نفوذها وهيبتها

قدري حافظ طوقان

# وجـــه للمقاطعة

لتاجر أديب

لنترك الفدائيين الذين وهبوا حياتهم لله والوطن يصولون في ميادين الجهاد ويجولون . ولنترك الحكومة تعمل أعمال التؤدة والترصن حسبما تقتضيه ظروف الحال وتقلبات السياسة . ولنترك الغرف التجارية في سيرها الساحقاتي تتدارس أمر مقاطعة التجار الإنجليز والتحول عنهم إلى أسواق أمم تجارها أقل ضررا علينا من أعدائنا . ولندع الأمة جانبا فان الهبة التي تهبها بين فترة من الزمان وفترة ، إنما مردها الآن الى عدوان جديد يقترفه الجيش البريطاني ضد البلاد وأهلها في القنال ، والى انتقام يقوم به أبناؤنا البررة فيذيقون أجناد الإنجليز مرارة الموت ، ويعلمونهم معنى القتال بين مؤمن بالله وبوطنه وبالرغبة في الحياة ، وبين مؤمن آخر إيمانا وثيقا بأن مصير إمبراطوريته الى الانكسار والزوال لأنها أدركت سن الشيخوخة وهي آيلة الى الموت القريب ، سنة الله في الشيوخ الفانين .

أيقنت بعد أن أهبت بغرفتنا التجارية أن تحرض التجار المستوردين أن يلغوا الطلبات التي طلبوها من التجار الانجليز . وأن يقفوا التعامل معهم ، وأن يفعلوا ذلك دفعة واحدة وفي يوم واحد حتى تكون مظاهرة التجار أبعد أثرا وأكثر نفعا من يوم اشتركت فيه جميع طبقات الأمة في التظاهر والاحتجاج على عدوان الإنجليز . أقول أيقنت أن الحكومة ستظاهر الغرف التجارية وتعضدها في إبراز فكرة المقاطعة إلى حيز الوجود ؛ لكنها — سامحها الله — سلكت سبيل الدبلوماسية أو سبيل المواربة في عمل كان يجب أن يكون عاجلا ، لأن إجماع تجار مصر المستوردين على رفض جميع الطلبات من انجلترا لا يساوي فقط حبس ستين مليون جنيه تدفعها مصر إلى انجلترا ثمنا لسلع تشتريها من أسواقها التجارية ، بل هي تدفع مئات من التجار الإنجليز إلى الوقوف في وجه حكومتهم يسألون عن معنى إقفال هذه السوق التجارية في وجوههم وهم يتضورون جوعا ويطالبون فداء يستردون عافيتهم ومركزهم المالي المزعزع

لنترك الغرف التجارية تعمل على إشراك غرف تجارة الدول العربية معها في كيفية إحكام حلقة المقاطعة ، ولنقنع أنفسنا بأن رجال الغرفة التجارية حسنو النية ، وأنهم لا يقلون وطنية في ميدان المال عن وطنية أبنائنا الذين يجودون بارواحهم ، ومن أبناء الاسماعيلية والسويس الذين يحملون العبء بجلد المؤمن وصبر المجاهد . لنترك هؤلاء جانبا لنطالب — استغفر الله العظيم — فأني كدت أطاوع قلمي فيسطر مطالبة الأغنياء بأن يمدوا يد المونة إلى عائلات الشهداء أو إلى مساندة رجال الكتائب أو الفدائيين ، ولكني أستدرك هذا الأمر العظيم لعلمي بأن أغنياءنا — حفظهم الله — قد استنفدت مصايف أوربا ومواثدها الخضراء والحمراء في صيف هذا العام أكثر ما ربحوه من بيع أقطانهم ، وأن ما تبقى لهم من أثمان محاصيلهم الأخرى قد تسدد مطالبهم الضرورية من اشباع المعد وإمتاع الجسد وسواهما ، ولكني أطالب طبقة متوسطي الحال من موظفين وتجار وأطباء ومن بضارعهم ومن السيدات والآنسات من الطبقة الوسطى أيضا ، إني أطالبهم بل أطلب منهم أن يلقوا نظرة على صوان ملابسهم فيجدون فيه أكثر من بدلة واحدة لفصل الشتاء وأكثر منها لفصل الصيف ؛ أما السيدات فإن لديهم فساتين لكل فصل ولكل صبح ولكل مساء وحفلات . فما ضر هؤلاء السادة والسيدات لو عقدوا العزم على الاكتفاء بما لديهم من ملابس ؟ ما ضرهم لو صمموا فيما بينهم وبين نفوسهم على الاستغناء عن الكماليات فضلا عن الضروريات ؟ ما ضرهم لو يعلنون هذا التصميم على الاكتفاء بما لديهم من لباس بين إخوانهم ومعارفهم وأندادهم فتسري عدوى حب مقاطعة الأجنبي بين الجميع ؟

ليس عارا أن أظهر أمام الناس ببدلة واحدة ألبسها طوال العام ، ولكن من الحقارة لنفسي أن لا أعمل عملا واحدا يشعرها بأني أشارك جميع طبقات الشعب في إظهار العداء لمغتصبي بلادنا ، وسارق خيرات أرضنا ، وقاتل أولادنا

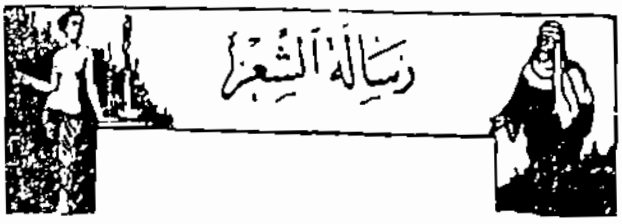


صور وتماثيل لرجال الجيل :

# رجال الثورات المصرية

## ١ — محمد بك الألفى فى دمنهور

للأستاذ عبد اللطيف النشار

فى دمنهور أمة تكره البغى وكانت ولم تزل مستقله

إن قرشا واحدا أضن به على الإنجليزى إنما هو لقمة انتزعها من حلقه ، فما بالك بستين مليونا من الجنيهات تدفعها مصر ثمنا لبضائع تشتريها من مصانع الإنجليز ؟

ليس فى الطبقة الوسطى والحمد لله من مستوزر أو طامع بكرسى الوزارة حتى يجن جنون ذلك الرجل الذى قيل لنا أنه لما نزلت به نازلة الوزارة وتبوأ أريكة الحكم ذهب إلى أحد مشاهير الخياطين فأمره أن يخيط له ستين « بدلة »

أى والله ستون بدلة اشتراها صاحب المعالى لأن مقام الوزير لا يبرز فى العظمة إلا ببدلات تستبدل فى ساعات الصباح والمساء مرة ومرات ! !

* * *

لى كلمة أخرى أوجهها إلى الأطباء والصيادلة وتجار المستحضرات الطبية والكيميائية وتجار الآلات الزراعية والبخارية وأدوات الرى على أنواعها أرجئها إلى فرصة قريبة

تأخر

أقصت الأجنبى عنها فولى مستميذا منها يسابق ظله
سابحا فى الوجود يطلب مثله كل شكل منهم يوائم شكله
حيث تلقاه فالنقائض طرا لم تسر بعده ولم تمش قبله
والمخازى مصائد وضعتها لبنى الشرق أمة محتاله
قبل إدراكها وبعد ومن عهد بعيد والبغى دين ومله
ارجعوا عن مجالنا مائة الأعوام نبصر برهانهم والأدله
فى المالك واحد يطلب الملك تولت هذى المدينة خذله
ما أفاد الألفى مما جناه فى دمنهور غير بؤس وذله
راسل الإنكليز يطلب عونا ولدى القوم دونه ألف حله
ولدى القوم منذ كانوا وعود كاذبات لمن يريدون خذله
ولمن لا يحاولون أذاه غمروا بالمواعد الكون كله
عبثا أن نعدها حسنات فيه داعى العدى ليخذل أهله
كان أهلا لولا الوثوق بخصم ظاهر الغدر أن يناهض دوله
الكفايات كلها مجتواة فى نفوس بغيرها مستقله
وصديق للانكليز عدو لبنى مصر بل وللشرق جمله
لو أرادوا أن يصدقوا ما استطاعوا خلق الكذب عندهم فى الجبله
وعدوه من قبل أن ينصروه وغبين مستنجز الوعد بذله
ليس من دأب باسط الكف يستجدى نوالا أن يلمس الناس فضله
أمة لا تكف تطلب شيئا طالبا تنكر الفضيلة شكله
إن تنله غصبا فغصبا وإن لم تستطعه خفت تحاول نشله
أمة لا تعف عن أى شئ تنكر الأنفس الشريفة فعله
والبنى الألفى يبغى نداها واقفا خيله هناك ورجله
العيون الزرقاء فى الأوجه السود مثال لمن تشبه مطله
والعيون الزرقاء فى الأوجه السود مثال للأمة المعتله
زعمت أن للخليفة عهدا ووفاء العهود للحر خله
ثم قالوا نعم سنبعث جيشا فانتظر حيث أنت تسمين ليله
صدق الكاذبين وانتظار الجيش ومستمرئ الأكاذيب أبله
ردمنهور فى نطاق من الجند وفى حالتى جفاف وقله
لم يعنها ولا الذى ناصرته وأبت فى الشقاء أن تستقله
هجمت هجمة الأسود على الألفى تبغى فى ساحة الحرب قتله

مزقت جيشه فلولا ولم تبق لداعى الطغاة إلا أقله
فى ثلاثين ليلة شردوه خيبوا فى عوالم الوهم فأله
مستمز بالإنكليز جدير بالذى نال من عواقب غفله
أنقذ الهارب الفرار ولولا ... لعافى المغرور أقبح قتله
ودمنهور لا تزال كما كانت فخورا نجومها والأهله
راية النيل لم تكن من قماش راية النيل تشمل النيل كله
كل معنى يلق على الجو ضوءا كل جسم يلق على الأرض ظله
راية النيل فى دمنهور روح تلمن الأجنبى فيها ورحله

٢ — محمد شريف باشا

يا أصدق اسما على مسمى يا رجل الجيل يا شريف
مدبر قادر نبيل مسالم حازم عفيف
والمجد أن تكمل المزايا لم تثن عن جذعها القطوف
حولك ذو صولة وجاه لكن بنيانه ضعيف
ينهار إما بدا رجاء أو لاح فى جوه مخوف
وذو طموح بغير وعى نصيبه فى الحجى ضعيف
وصادق العزم لم يمحص آراءه ناصح حصيف
وماكر همه هواه ضميره شارد يطوف
يا رجل الجيل يا شريف ضحى بنا ذلك اللفيف
وأنت ما بينهم سراج يحمله مرشد كفيف
قد ضل فى التيه قوم موسى حتى عفا الراحم الرؤوف
إن يعبد العجل قوم موسى فبيننا يعبد الحليف
وأصلح القوم نصح موسى ونحن نبراسنا شريف
إن ساد دستورنا نجونا ووحدت بيننا الصفوف
لكنه الصدق فى النوايا والجد والقصد والسيوف
أخوة فى ظلال حكم يحب حبا ولا يخيف
برنامج لم تزده حرفا يا بطل الجيل يا شريف

عبد اللطيف النشار

## بين دنكرك وكفر عبده

للأستاذ عبد العزيز مطر

سلوا «دنكرك» عن جبن الجبان تنبئكم بألوان الهوان
تنبئكم بأن « الحر » فروا من الميدان مسلوبى الجنان
سلوا «دنكرك» ثم سلوا بلادا يرفرف فوقها علم الأمان
لعل جوابها يشفى غليلى ويكشف عن فؤادى ما دهانى

* * *

سلوا السبعين بيتا قد غزوها بآلاف من الجيش الجبان
فهل حسبوا البيوت قلاع حرب وخالوا فى يد المزل اليمانى ؟
ألا مرحى .. ألا مرحى لجيش أجاد رحاله نسف المبانى
ولو برز الكماة لهم لفروا وخافوا من بريق الهندوانى
هو شبه الرجال ولا رجال هم الجبناء فى الحرب العوان
لهم فى السلم جمجمة تدوى ولا تلقاهمو يوم الطعان
على المستضعفين أسود غاب نعام فى عجاج الممعان
ألا فافخر تشرشل أى فخر وسق لرجال جيشكم التهانى
وشد على يد الأبطال واهنأ فقد خاضوا معارك ذات شان
ألا تعسا «لأرسكين» وسحقا «لتشرشل» من عجوز ثعلبان
كفاكم أيها القرصان بغيا كفى وطنى مساوئكم كفانى

* * *

شباب النيل هبوا من رقاد فماء النيل لم يخلق لوانى
شباب النيل هيا للمعالى وروموا المجد فى أسمى مكان
دم الشهداء نادا كم فلبوا وذودوا عن حماكم ما يعانى
« وصبرا فى مجال الموت صبرا » فتلك سبيل تحقيق الأمانى

عبد العزيز مطر

# الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

س وج حول اللغة الأجنبية الأولى :

قرأت باهتمام كلمتكم المنشورة في الرسالة الغراء تحت عنوان (أصبح الشعب حرا في اختيار اللغة الأجنبية الأولى) وقد بدا لي واستبد بلفيف من المعجبين بكم أن نتقدم إليكم بالأسئلة الآتية راجين التفضل بالأجابة مشكورين

(١) إن قرار حضرة صاحب المعالي وزير المعارف فرض على الشعب أن يختار الفرنسية أو الانكليزية لغة أصلية . وأن يختار إحدى اللغات الثلاث الباقيات لغة إضافية . فهل اتاح هذا القرار فرصة للشعب في أن يكون حرا في اختيار اللغة التي يرضاها أصلية واللغة التي يريدها إضافيـــة من غير فرض ولا تحديد ؟

(٢) إن القرار وضع اللغة الانكليزية في الدرجة الأولى بين اللغات . وبحكم هذا الوضع يتعين بلا جدال أن اللغة الانجليزية إن لم تكن أصلية فهي بلا مراء إضافية — فهل هذا ما قصد إليه القرار ؟

(٣) تقول حضرتكم بأن هذا القرار أتاح الفرصة للشعب نفسه أن يكون حرا في اختيار ما يريد . فماذا تقصدون بالشعب ؟ أهو الكلية ، أم أولياء أمورهم ، أم الشعب ممثلا في لجنة تشكل لهذا الغرض ، أم الشعب ممثلا في البرلمان ؟

(٤) إن اللغة الأصلية يلاحظ فيها مدى مصلحة الشعب منها ثقافيا وماليا وتجاريا وسياسيا . فأي لغة من هذه اللغات الأربع أحق بالتقدمة وأنفع للشعب في معترك الحياة ؟

(٥) إذا تركنا الشعب حرا في اختيار ما يشاء من اللغات فهل وزارة المعارف مستعدة لأن تفي كل المدارس حاجتها من المدرسين في كل لغة ، أم أنها ستخصص مدارس لكل لغة . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يلتقي الشعب في ثقافة تربطه بنفسه وتحدد أغراضه في حياته . هذا ولحضرتكم منا أطيب تحية وأروح سلام

اليماني أصهر السكري

بكفر الشيخ نوادية

ج ١ — قصدت بحرية الشعب في اختيار اللغة الأجنبية الأولى ، أن اللغة الانجليزية أصبحت غير مفروضة عليه ، وبهذا تخلص من وضع من الأوضاع الاستعمارية التي يعمل للتحرر منها ، فالحقيقة التي لا شك فيها أننا ما كنا نحل اللغة الانجليزية المحل الذي أخذته عندنا لولا أن الانجليز احتلوا بلادنا . وذلك ما رميت إليه بما كتبت في هذا الموضوع ، وحسبنا أن بلغناه ، وليكن بعد ذلك ما يكون من تحديد أو إطلاق

ج ٢ — القرار وضع الإنجليزية في الدرجة الأولى حقا ، ولكنه أتاح الفرصة لتركها أصلية أو إضافية ، فإن الطالب عند ما يختار الفرنسية أصلية تصبح الانجليزية بالنسبة إليه كالألمانية والإيطالية يختار من الثلاث ما يشاء

ج ٣ — الشعب المقصود هو الطلبة بالاشتراك مع أولياء أمورهم

ج ٤ — جواب هذا السؤال موضح في كلمتي الأولى (الرسالة عدد ٩٥٧)

ج ٥ — الشطر الأول من السؤال يتعلق بإجراءات التطبيق والتنفيذ . والمفروض أن تدبر الوزارة الأمر بما يتفق والغرض من القرار . أما التقاء الشعب فهو في مجرى ثقافتنا الأصيل — الواقع أو المنشود — واللغات الأجنبية وثقافاتها إلا روافد

## انا في مرآة قارئ :

تلقيت رسالة بتوقيع « سعد أبو سالم — قليوب البلد » تشتمل على مسألتين ، الأولى خاصة باستعمال كلمة « مثل » إذ طلبت من الأستاذ بريري في موضوع «اللحن الفصيح» أن يأتي بمثل للطلب قبل تاء التأنيث للغائبة للأمر والنهي وبقية الأشياء

التى ذكرها . فقد أخذ على كاتب الرسالة استعمال لفظة « مثل » فى هذا المعنى مفرقا بينها وبين كلمة « مثال » وردى على ذلك أن مما يدل عليه لفظ « مثل » الوصف ، وكذلك « مثال » فيقال مثل الشيء ومثاله ، أى وصفه وصورته . والمقصود — على ذلك — من « مثل للطلب » جلة تبين حقيقته وهل هو شيء آخر غير الأشياء التى ذكرها

أما المسألة الثانية فهى أنه وصفنى بصفات لست أدرى هل هى حقيقية أو هى مما يدل عليه وصف نفسه فى ختام الرسالة بقوله : « وختاما إليك منى تحية تلميذ أحق .. »

قال السيد أبو سالم الذى أعتقد أنه « عاقل » على الرغم مما وصف به نفسه : « وأود أن أحدث الأستاذ عما أفهمه وأستسيغه حول كلمتى مثل ومثال ، وله بعد ذلك أن يعدنى غبيا أو جاهلا كما هى عادته مع عشاق الأدب واللغة . وإلا فما كان يقول ردا على الأستاذ البريرى « ولكن ما حيلتى » والحق أنها ياسيدى طريقة طريفة لم نعهدها فى النقاد من الأدباء ، ولو كانت طريقة النقد هى الردع والزجر لأصبح الأدباء فى صراع جاف خاف خال من روح الأدب ... الخ

والحق أننى سررت من هذه العبارات وغيرها مما تضمنته رسالة السيد سعد أبو سالم .. سررت منها ، لأنى ألفيتها مرآة تعكس صورة .. إن تكن تطابق منهجى فى الكتابة فإنى أقوم .. لأنى لا أرضى لقلمى أن يخط صراطا خاليا من روح الأدب !

وإن لم تكن الصورة مطابقة فلا شك أن المرآة من تلك المرايا التى كنا نراها فى « لونا بارك » تشوه السحنات وتبعث الضحكات ...

## مصطلح طبى :

أشرت فى الأسبوع الأسبق إلى محاضرة الدكتور أحمد عمار بمؤتمر المجمع اللغوى عن اللغة العربية والمصطلحات الطبية ، وأوردت نبذا منها تتضمن رأيه فى وضع تلك المصطلحات وهو التوسط بين المحافظة والأقدام . وكنت أريد أن أورد نبذا أخرى تتضمن آراء له أخرى ، ولكن الرسالة أحست صنعا فنشرتها كلها فى موضع آخر من هذا العدد

عباس خضر

## بيان رابطة الكتاب السوريين :

نشر فريق من شباب الكتاب فى سورية بيانا بتأليف رابطة لهم نقتطف منه هذه الفقرة التى تشرح الغاية من هذه الرابطة والطريق التى يسلكها المرتبطون لبلوغ هذه الغاية

... كان يجب أن توجد هذه الرابطة للكتاب السوريين منذ أمد طويل ، ولكنا لسنا هنا فى مجال اللوم والندم ، وإنما نحن فى ميدان الإنشاء والعمل . إن هذه الرابطة لم توجد من قبل وكان يجب أن توجد ، وها نحن أولاء نفعل

(رابطة الكتاب السوريين) اسم بسيط

## كشكول الأسبوع

▫ تلقى معالى الدكتور طه حسين باشا كتابا من المستعرب الانجليزى « جيب » عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، يعتذر فيه من عدم الحضور إلى مصر للاشتراك فى دورة مؤتمر المجمع الحالية ، لأمرين : الأول زواج ابنه واضطراره إلى حضور حفلات الزواج ، والثانى الحالة الحاضرة بين مصر وانجلترا ، ويقول الأستاذ جيب فى كتابه هذا أنه يقدر موقف مصر وطالما سعى لأن يتبين الساسة البريطانيون موقفهم فلم يجد سعيه

▫ قال معالى وزير المعارف فى جلسة مجلس التعليم الأعلى عند مناقشة حفظ القرآن فى المدارس . إن حفظ القرآن الكريم يعتبر من وسائل تنمية المواهب وتربية الملكات لأنه يصقل اللسان ويقوى الذاكرة

▫ أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجزء السادس من مجلته

▫ أنشأت المفوضية السورية فى الأرجنتين معهدا لتعليم اللغة العربية هناك

▫ قرر معالى وزير المعارف ترقية الأديب الموظف الأستاذ مفيد الشوباشى مدير إدارة التأليف إلى مراقب للتشريع والشؤون القانونية بالوزارة . وهذا من مظاهر عناية السيد بالأدباء وحياطتهم بحدبه ورعايته . والأستاذ مفيد جدير بالتقدير لأدبه الحى وثقافته الممتازة

▫ سئل أحدهم : ما أصلب الأشياء ؟ فقال : ثلاثة : قرن الثور وحافر الفرس ووجه الانجليزى ! وأردف قائلا : لأن هذا الوجه وقح .. وفى اللغة . وقح حافر الدابة أى صلب

يتألف من ثلاث كلمات، ولكنه ضخم كالقومية الكبيرة، لم نحاول فيه أن نفتش عن الرمز البراق بقدر ما أردنا أن نضع اللافظة نفسها نحن لا مثل الكتاب السوريين أجمعين. هذه حقيقة لا ننكرها، ولكن لا يضير الإسم ألا يجمع الكل إذا استطاع أن يجمع البعض، فاتحا الباب لمن يشاء من المنتجين المحسنين. نحن جماعة اننا في العيش مهن مختلفة، ولكن شيئا واحدا يجمعنا، هو أننا نحمل قلما لا نستطيع حبسه عن الورق، أو كما قال جبران: من هؤلاء الذين إذا لم يكتبوا ماتوا. كذلك نحن. مهما تنوعت أعمالنا في الحياة، فإن عملا واحدا لا نستطيع التخلي عنه، يجمعنا ويقرب أيدينا بعضها إلى بعض. ولسنا نزعم أننا إذ نطلق على أنفسنا لافظة كتاب، أن الكتابة — شعرا كانت أم نثرا — قد أصبحت في أيدينا ناضجة كاملة كعناقيد العنب في أيلول. إن اتحادنا مدرسة بقدر ما هو رابطة، نتكاتف فيه ونتعلم في وقت واحد. وليس بعيدا أن يصبح الحصرم عنبا إذا ظل على أمه، ينمو في ضوء الشمس ويبهر العيون بجماله

هؤلاء نحن. أما ماذا نريد، وكيف سنعمل؟ فتلك أشياء يجب أن نصوب نحوها الأشعة قليلا، تاركين للعمل ذاته، فيما بعد، أن يشرح ويتكلم . .

أدخل ذات يوم مكتبة، في أي بلد سوري، واسأل صاحبها، أو استقرىء فهارسها عن بضاعة الدكان، تجد أن سورية أفقر البلاد العربية انتاجا في ميادين الفكر والفن. ثم حاول أن تعد في ذهنك أسماء لشعراء أو لقصاصين أو لكتاب آخرين، تجد أن رأسك كالصحراء الخاوية، إلا من بضع واحات، وقبضة من أشجار النخيل، بينما في لبنان، تتبادر لذهنك الاسماء على الفور كثيرة منتجة، وفي العراق نهضة مباركة، أما في مصر فان إنتاجها يغمر أسواقنا، ترى ما هو السبب؟ ولكنه حديث طويل ذو شجون، فلنطو بساطه في هذه العجالة ولنحاول أن نكون عمليين، فنصل إلى المشكلة فورا ونبدأ حلها ... ... ... ...

نحن كتاب تقدميون بكل ما في الكلمة من خصب، تقدميون لأننا نستهدف أبدا أن نمشي إلى الأمام حيث يتلامح هدفنا أننا نؤمن بأمتنا، ونؤمن بأننا نستطيع خدمتها، وأننا لن نكون كتابا إذا لم نحي حياة أمتنا. إن هدفنا هو أن نعمل للشعب لأننا منه، ولأن الفن الصحيح هو الفن الذي ينبع من حياة المجموعة. إن الآثار العظيمة الباقية هي الآثار التي غيرت وجه الحياة فأغنتها وأكسبتها أشياء صالحة جديدة. لم يعد هناك — كما يقول بعضهم — من فن للفن ولا من زهر للزهر. إن الفن هو للناس، كما أن الزهر هو للعيون التي تراه والأنوف التي تشمه. والزهرة لا تكون جميلة إلا إذا استطاعت أن تؤدي إلى شيئا يتصل بذاتي وخدمة تحسن حياتي. نحن مع القائلين بأن الفن هو تعبير جميل عن الحياة، ولكن التعبير لا يكون جميلا إذا لم يعبر عن الحياة الحقة، حياة المجموعة. نحن لا نطالب أن يذوب الفرد في الجماعة، لأن مجموعة الأصفار لا تساوي أكثر من صفر، وإنما نطالبه أن يعيش مجتمعه، ويشارك فيه، وينطلق بعد ذلك كما يشاء، فهو لن يضل ولن يبتعد عنا كثيرا. الفرد الواحد المستقل عن الجماعة غير موجود. كذلك العاطفة الواحدة المفردة غير موجودة، فاذا استطعت أن توجدها وأن تعبر عنها فأنت تصطنع الحياة، وبالتالي فانت تصنع الفن ... ... ... ...

تلك هي طريقنا، أما وسائلنا فهي إنتاجنا الخاص ككتاب تقدميين، وعنايتنا بالنتاج الفكري العربي القديم الذي يتصل بقضايا الحرية والسلام، ونشره على الناس، كما نبرهن لهم أن هذه القضايا كانت تهم الإنسان من قبلنا بكثير من العهود. كما أننا سوف نعمل على أن نخرج من الفوقعة التي نعيش فيها هنا، فلا نقرأ إلا نوعا معينا من الأدب، ولا نطلع إلا على زاوية واحدة من الثقافة. إن قضايا العالم الآن أصبحت قضية واحدة، ولن يستقر السلام في دولة واحدة إذا كانت الدول الأخرى يهددها غول الحرب. لذلك صارت كل محاولة لعزلنا عن التيارات الفكرية الحديثة في العالم محاولة دنيئة، يريدون بها أن يربطوا عيوننا بعصابة كي ندور في مكان واحد، والسوق الفكرية العربية أحوج ما تكون لأن تصبح ملتقى هذه التيارات، كي ندركها جميعا، والبقاء بعدئذ للأصلح

أما إنتاجنا فلن يظل بعد الآن مبعثرا في كل واد، إننا سنكتب، ولكن في الموضوعات التي نرغب، وبالأسلوب الذي نحبه، وفي الصحف الخلصة الحرة

لبان ديراني، مراهب الكيالي، شحاده الخوري، حنا مينه، سعيد عراية، غسان رفاعي، نبيه عاقل، أنطون مقدسي، ممدوح فاخوري حبيب الكيالي، شوقي بغدادي، صلاح ذهني — دمشق

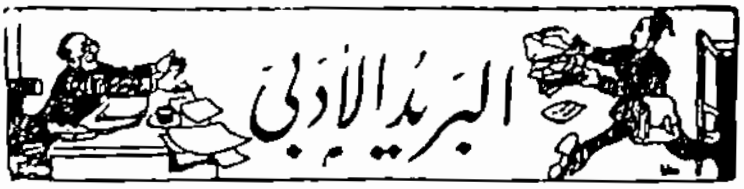


١ — خطأ مشهور

نشرت جريدة الأهرام كلمة الأستاذ الشاعر عبد الغني سلامة بمناسبة ذكرى مولد الرسول ، تحت عنوان « ضاقت يارسول الله جاء فيها : « ضاقت الصحف ... من أن تفي ذكراك العطرة حقا بسبب أزمة الورق » فعدى ، الفعل « تفي » إلى مفعولين ، وهذا تعبير شائع لا يرى مستعملوه حرجا في استعماله ، ولا يخالج نفوسهم شك في صحته في اللغة العربية وهو مجانب لما جرى عليه الاستعمال العربي ، مخالف له ؛ لأن « يفي » مضارع « وفى » المجرد وقد جرى العرب على لزوم هذا الفعل ، فقالوا : وفى الشيء أي تم . ووفى بعهده ووعده وفاء فهو وفى . وهذا الشيء لا يفي بذلك ، أي يقصر عنه ولا يوازيه

أما الفعل المتعدى فهو « وفى » بالتضعيف ؛ ففي « أقرب الموارد » : « وفى فلانا حقه أعطاه إياه وافيا تاما » ، وفى التنزيل « ووجد الله عنده فوفاه حسابه» ومضارعه « يوفى » قال تعالى : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم » .

فينبغي إذن تصحيحا للعبارة أن يقال : « ضاقت الصحف عن أن توفى ذكراك العطرة حقها ... »

٢ — فسح وأفسح

خطأ الأستاذ محمد محمد الأبشيهي بالعدد (٩٦٤) من الرسالة الأستاذ محمد رجب البيومي في قوله : ( وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ) ، وذكر أن الصواب : ( وفسح لنا .. ) ، واستدل بقوله تعالى : ( فافسحوا يفسح الله لكم )

فهو يدعي دعويين ، إحداهما : أن الفعل (فسح) قد ورد عن العرب متعديا ، والثانية أن (أفسح) لم يصح في اللغة العربية ، وكلتا الدعويين باطلة قام الدليل على عكسها. أما الأولى فلأن ( فسح) لم يأت في الأسلوب العربي إلا لازما[1]؛ ففي محيط المحيط : ( يقال فسح له في المجلس يفسح فسحا وسع وخرج له عن مكان يسعه ) ، وفي ( الصباح المنير ) : ( فسحت له في المجلس فسحا ... وفسح المكان — بالضم — فهو فسيح.. ويتعدى بالتضعيف فيقال فسحته ) ، وفي التنزيل : ( فافسحوا يفسح الله لكم ) . وأما الثانية فلأن ( فسح ) يتعدى بالتضعيف — كما سبق — ويتعدى أيضا بالهمزة،وهذا مقيس في كل ثلاثي لازم ، فلك أن تأتي في أوله بالهمزة فيصير متعديا لواحد بعد أن كان لازما . ولم يغفل الأستاذ «البيومي» أكثر ذلك،فهو قد أتى بالفعل ( فسح ) ثم أدخل عليه الهمزة فصار ( أفسح ) . وهذا ما تجيزه قواعد اللغة ، وأقره المجمع اللغوي

احمد مختار عمر

« تخطئة » :

نقل إلينا البريد الأدبي للرسالة الغراء في العدد ٩٦٠ كلاما للأستاذ محمد سعيد الجنيدي العلوي ملخصه : أن كلمة « سائر » لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » وأورد لذلك ما ذكره القاموس المحيط وغيره من كتب الفقه . وبالرجوع إلى القاموس المحيط وجدنا أن الأستاذ لم ينقل إلينا ماجاء فيه نقلا أمينا ولذا رأيت أن أذكر هنا ماقاله لنتبين وجه الخطأ والصواب في كلام الاستاذ ، قال القاموس المحيط في مادة « السؤر » . « وفيه سورة أي بقية شباب . وسورة من القرآن لغة في سورة والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ومنه قول الأحوص .

حملتها لنا لبابة لمـــا وقد النوم سائر الحراس

وضاف اعرابي قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال : بطفي عطري ، وسائري ذري . وأغير على قوم فاستصرخوا بيني عمهم

(١) أعني باللازم ما لا يتعدى إلى المفعول بنفسه ، أعم من أن يكون قد تعدى بحرف الجر أو لم يتعد أصلا

فأبطؤا عنهم حتى أسروا وذهب بهم ثم جاؤا يسألون عنهم فقال لهم المسئول : أساثر اليوم وقد زال الظهر؟ أى أتطمعون فيما تفتقر وقد تبين لكم اليأس لأن من كانت حاجته اليوم بأمره وقد زال الظهر وجب أن ييأس كما ييأس منها « بالغروب » ومن هنا نعلم أن كلمة « سائر » تستعمل بمعنى « البعض والبقية » كثيرا وبمعنى « كل وجميع » قليلا ؛ وإنما حملنى على نقل هذه العبارات ما رأيته من غلطة الأستاذ للكتاب فى استعمالهم لها بالمعنى الثانى وادعاؤه أنها لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » والأستاذ منى تحية عطرة

أبوه عمر حسب الله

## توجيهات نبوية :

نشرت مكتبة الآداب بدرب الجماميز هذا الكتاب الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وهو كغيره من كتبه جديد فى موضوعه ، فقد اختار فيه أربعين حديثا نبوية مناسبة لعصرنا ، ثم قام بشرحها وبيان ما فيها من التوجيهات النبوية فى الدين والعلم والاجتماع والأدب والأخلاق ، وما أحوج المسلمين فى عصرنا إلى الاستفادة من هذه التوجيهات فى دينهم ودنياهم ، لأنها تنير لهم الطريق فى حوالك هذه الظلم ، وتبين لهم السبيل الصحيح لاستعادة مجدهم وعظمتهم ، وتطلعهم على الأسرار التى كان بها الإسلام حقيقة خير الأديان ، وهى الأسرار التى كان المسلمون الأولون يفهمونها على حقيقتها ، وكانت آثارها تظهر فى أفعالهم قبل أقوالهم ، حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا بأفعالهم وأقوالهم حجة الإسلام على غيرهم ، فدخل الناس بها فى دين الله أفواجا ، لأنهم لم يروا من أقوالهم وأفعالهم ما يزهدهم فى دينهم

وها نحن أولاء قد انحرفنا عن ديننا فى أفعالنا وأقوالنا ، حتى صرنا حجة على ديننا ، فنحن فى أشد حاجة إلى أمثال ذلك الكتاب ، ليبصرنا بأسرار هذا الدين الحنيف ، ويوجهنا فيه التوجيه الصحيح

على حسنه

## تصحيح بعض الآيات في مقال :

استشهد الأستاذ كامل السوافيرى فى مقاله « القوة فى نظر الإسلام » المنشور فى العدد ٩٦٥ من الرسالة بآيات من الكتاب الكريم مستدلا بها على وجوب الجهاد وفرضيته على المسلمين فذكر آية من سورة البقرة وصورها بقوله تعالى فى آية أخرى « يأيها الذين آمنوا ذكر بعدها مباشرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. الخ » الآية ٢١٥ بقرة وصحة الآية « كتب عليكم .. الخ » بدون يأيها الذين آمنوا . واستشهد بآية ثانية من سورة محمد فقال « محمد والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الآية ٢٨ من سورة محمد وصحتها « محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ »

ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا فخانته ملكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها بحرفة السوإذا كان الأستاذ لا يحفظ القرآن جيدا فلماذا لا يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت فى كتاب الله

صلاح الدين حسنه على

جامعة فؤاد الأول

كلية طب قصر العينى

تعلن كلية طب قصر العينى — جامعة فؤاد الأول عن وجود وظيفة معيد بقسم البنالوجيا الاكاينيكية بالكلية ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة أن يكون حاصلا على بكالوريوس الطب والجراحة بدرجة جيد على الأقل وتقدم الطلبات باسم سعادة عميد الكلية فى ظرف عشرة أيام من تاريخ النشر — وعلى موظفى الحكومة تقديم طلباتهم عن طريق المصالح التابعين لها ٤٦٩

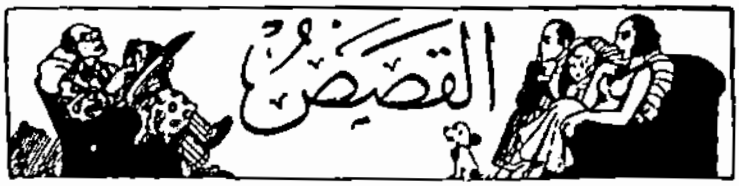


قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

# حادثة وجزاء

## للاستاذ محمود رزق سليم

جلس الشاعر « شهاب الدين » في إحدى الليالي القريبة يقص على أصدقائه تفاصيل حادثة « المشالى » وأسرارها، فقال :

يالها من حادثة ! كانت خافية مستورة، فأصبحت بلماء مشهورة، وكانت فردية شخصية، فأضحت مسألة اجتماعية ..! حادثة اتحد على وقوعها، عقلة ضاربة، وحب جارف، وخيانة دنيئة، وغيرة قاتلة. وخوف مستقر، وصداقة عمياء .. ولم يستطع العلم — أو قل العلماء — أن يشخصوا لعلاجها دواء شافيا، حتى تقدمت القوة، فحسمت داءها وعجلت شفاءها ... حادثة يتضح منها أن جلالا و كبرياء قد يستحذيان حينا، ويخور عزمهما حينا يتكشف ما يدخران في أطوائهما من سيء الأخلاق وأن الرذيلة إذا تحكمت في النفوس فلن يجتث جذورها حرمة علم أو رفعة منزلة . . .

تلك هي حادثة « المشالى » التي ارتج لها ضمير السلطان الغوري، واضطرب لها علماء الدولة، وسخرت منها القوة، وعزل بسببها قضاة الشرع الأربعة، وحرمت البلاد قضاءها فمطلت الأحكام بضعة أيام

تعلمون أنه منذ عهد الملك الظاهر بيبرس، رسم بأن يكون للبلاد أربعة قضاة شرعيين. لكل مذهب قاض، وهو يعين من قبله قضاة ينوبون عنه في الحكم. وكان « نور الدين علي المشالى » أحد نواب الشافعية. وكان يسكن إحدى نواحي القاهرة. وله صديق من نواب الحنفية يدعى « غرس الدين خليلا » جمعت بينهما جامعة العلم، وربطت قلبيهما رابطة الزمالة. وعقدت بينهما أواصر الصداقة

كانا يتزاوران بغير ريبة. ويتسامران في جو من الثقة والطمأنينة . . وفي هذا الجو وقعت الحادثة . :

كان لغرس الدين زوجة حسناء فاتنة. ممتزة بما لها من جمال ومحاسن، مدلة بما لها من رقة ومفاتن .. وكانت حينما تغادر منزلها تتبرج وتزدان، وتبالغ في التعطرية، فتلفت بذلك الأنظار وتسترعي العيون وتثير الرغبات فتمشي وتخلف في كل قلب لوعة، وفي كل فؤاد جذوة

وكان أشد الناس ولعا بها والتفاتا إليها ومراقبة لها واجتراء عليها، شاب يدعى « شميسا » وهو ابن أخت القاضي نور الدين الدمياطي. وكان « شميس » قاطنا على مقربة من دارها، فكان يرقب أحوالها ويتفقد أعمالها بدافع من حبه لها ورغبته فيها وغيرته عليها. فعرض لها مرارا، وتودد إليها تكرارا، فتأبت عليه، وصعرت له خدها، ومشت في طريقها من دونه مرحا. والدل ملء إهابها، والزهو في جلبابها . .

انهبت نفس « شميس » حنقا عليها، وثارت سميا في سبيل الانتقام منها. وأيقن بغريزته أن امرأة لعوبا على غرارها، لا تصفو لزوجها، وبخاصة لأن زوجها فيه طيبة قلب يأباها الرجل اليقظ . . . ولا بد أن يكون وراء الأكمة ما وراءها. ولا بد أن يكون لها خليل ملك عليها قلبها وأسر لبها واختصته بصادق حبها . .

ورأى أن « المشالى » أكثر الزوار ورودا إلى دارها، وأنه حينما يفد إلى الدار تتبدى بها حركة غير عادية. كأنما هو ضيف لا كالضيوف، وزائر لا كالزوار.. فوقع في نفس «شميس» أنه لا بد من وجود صلة لا تطيب لها النفس الكريمة، ولا تطمئن إليها الضمائر الحية. فشدد عليهما في الرقابة حتى صدق حدسه، وحانت له فيهما فرصة . .

في يوم صفت جواؤه وتكشف سماؤه، عنت « لغرس الدين خليل » زوج هذه الحسناء، حاجة، اضطر في سبيلها إلى أن يخرج من القاهرة إلى جهة الإمام الليث — رضي الله عنه — فامتطى دابة وأخبر امرأته أنه سيقضي ليلته هناك. ويبدو أن شميسا قد علم بخروج غرس الدين وبالناحية التي خرج إليها. فأثارته الغيرة إلى أن يقعد للعاشقين بالمرصاد

أرسلت الحسناء خلف عشيقها فأسرع إلى اللقاء، ومعه

ما لذ وطاب من طعام وشراب . وجاء وفى حركته توجس وفى وجهه خيفة ، وفى تلفته ريب ، ويكاد يقول : خذونى . . . واندفع إلى الدار وغلق من خلفه أبوابها . .

اعتلى شميس من فوره ، راحلة عجل بها إلى مكان الزوج ، واعلمه الخبر ، فصعق وامتقع لونه ، وعاد إلى داره فى وهى وعجلة فرأى الجريمة رأى العين .

خار الرجل واضطرب وحاورين زوجة عابثة وصديق غادر . وثار ثورة الانتقام ، وتنبهت فى نفسه حينذاك قسوة جارفة كادت تقضى على المجرمين . . لولا مسكة من طيبة ، وبقية من ضعف . فرأى أن يسلمهما لولاة الأمور ليناقبا العقاب المشروع

خجل « المشالى » من صديقه ، وأكب على قدميه يقبلهما ، ويسأله العفو والمغفرة ، وعرض عليه بعض المال يشترى به رضاه وينقذ نفسه من عقوبة لا ريب فيها ، وفضيحة لا فرار منها . . وتقدمت المرأة بنفس محتالة ودموع سيالة وألفاظ خلابة وضعف يستدر العطف ، إلى زوجها تستجديه أن يسترها . . ووهبت له جميع ما فى البيت من المتاع . فأبت نفسه أن تلين لزلتها . وأشهد عليهما ، وأقفل الباب وذهب إلى حاجب الحجاب . .

كان هناك رجل بكاد يطفر قلبة ويثب شماتة واشتفاء . ذلك هو « شميس » كان يرقب القصة وفصولها عن كثب . فلما ذهب الزوج . حرس هو الباب ومعه عصابة من إخوانه ، حتى وفدت جنود الحاجب فساقوا الجانيين إلى داره . وهناك أمام الحاجب لم يجدا مفرا من الإقرار بجريمتهما . واستقدم الحاجب القاضى « شمس الدين بن وحيش » أحد نواب الشافعية ومن زملاء « نور الدين » فسمع إقرار زميله على نفسه ، وكتب بذلك محضرا موقعا عليه منه

أخذت النخوة حاجب الحجاب ، ورأى أن يعاقب الجانى المعترف ، عقابا ما ، فنزع عنه ثيابه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد يهلك . أما المرأة فقد حملت على أكتاف المشاعلية وضربت ضربا موجعا حتى كادت تموت . ثم أركب كل منهما حمارا ، وكويا معكوسا . وطيف بهما فى شوارع القاهرة وأزقة الصليبة وحارات قناطر السباع . فلأ فضيحتهما أفواه الناس . وأصبحا عبرة للمعتبرين ثم أعيدا إلى سجن حاجب الحجاب

إلى هنا كاد الستار يسدل على هذه القصة ، لولا أن حاجب الحجاب فرض على المرأة غرما ماليا مقداره مائه جنيه ليطلق سراحها ، فأنكرت أنها تملك مالا . فطلب الغرم من « فرس الدين » فأبى أن يدفعه . فاقتيدا إلى السجن حتى تؤدى الغرامة. وهنا بدأ الستار يرتفع المرة الثانية . .

كان لخليل — الزوج — ولد صغير يقرأ بأبواب السلطان فى الدهيشة ، وهو من الصغار المقربين إلى السلطان . . فهاله أن يقبض على أبيه بغير جريرة ، فأسهى الخبر إلى السلطان فى سذاجة . .

هنا اتسع الخرق على الراقع ، وخرجت المسألة إلى نطاقها الواسع . وضخم أمر الجرم فى نظر السلطان ، وهاله الأمر ، وهز فى نفسه أن يجترىء أحد نواب الحكم على اقتراف هذا الجرم . .

جمع السلطان قضاة الشرع الأربعة ، وقرعهم تقريعا جارحا . وهو يقول : هنيئا لكم ياقضاة الشرع ، تعاليتم فى البناء وأغرقتكم زخارف الدنيا . وأصبحتم وديدنكم الزهو والفخار . ونوابكم منهم من يشرب الخمر ، ومن يقترف الزنا ، ومن يبيع الوقف ، ولا يخشى الله . .

ثم عرض المحضر الذى كتبه القاضى «شمس الدين بن وحيش» وطلب إلى هذا القاضى إبداء رأيه فى الموضوع . فحكم بالرجم — فوقع هذا الحكم من نفس السلطان موقع الرضا والقبول . وطلب من ( ابن وحيش ) أن يصدق على هذا الحكم حتى يأمر بتنفيذه . فتوقف (ابن وحيش ) عن التصديق ، منتظرا أن يجيزه به قاضى قضاة الشافعية . فأجازه القاضى — وهو كمال الدين ابن الطويل — وهيىء الحكم للتنفيذ

شغل السلطان بعد ذلك بأمر الحجاج وخروج المحمل ، فأمر بايداع المجرمين فى السجن حتى يتفرغ لهما ، ويعذبهما بجرمهما عذابا يكتب فى تاريخ عدالته . . وهنا بدأ الفصل الثالث من فصول هذه الرواية

كان ( المشالى ) صديق حميم وخل وفى كريم ، من نواب الشافعية ، دفعته الصداقة ومقتضياتها ، والزمالة ودواعيها إلى إنقاذ زميله من موت محقق وعقاب منكر ، واخذ يستجدى ذكاءه وحيلته، حتى ابتكر مخرجا شرعيا بارعا، يرجم به هذا الأثيم .. ذلك الصديق هو القاضى شمس الدين الزنكلونى

ذلك أن الزانى المعترف على نفسه يحد ويرجم . فإذا رجع عن اعترافه قبل الرجم ، لا يرجم لقيام شبهة فى الجريمة وهى جريمة زنا ، والحدود تدرأ بالشبهات

أوعز (الزنكلوني) إلى صديقه (المشالي) أن يرجع عن اعترافه، فرجع .. وسطر الزنكلوني سؤالا بهذا المعنى يستفتي فيه العلماء في حق الزاني في الرجوع عن اعترافه، وسقوط حده تبعا لذلك ودار بهذا السؤال على أبوابهم، فأفتى له برهان الدين أبي شريف المقدسي — وهو قاضي قضاة الشافعية السابق — بجواز ذلك. ثم أفتى له جماعة من العلماء آخرون

وبلغ أمر الفتوى مسامع السلطان، فاهتاج وركبه الغيظ والحنق، وثار مرجل غضبه. وجمع تواً مجلساً علمياً حاشداً، فيه قضاة الشرع الأربعة والقضاة المنفصلون من القضاء، وعدد من جلة علماء العصر وبينهم القاضي الأجل الشيخ زكريا الأنصاري، والقاضي ابن أبي شريف

عرض السلطان عليهم تفاصيل المسألة. وأنكر عليهم إنكاراً شديداً أن يضبط نائب من نوابهم في فراش زميله ثم يعترف ويقر بالجريمة، ويكتب اعترافه بخطه ويحكم عليه، ثم يقال بعد ذلك إن له حق الرجوع عن الاعتراف .. فلا يحد. وقال: هذا أمر عجيب وحكم جائر وسبة لا يرضاها رجل عادل

فقال له برهان الدين ابن أبي شريف: (إن هذا حكم الله وشرعه. واليك يا مولانا ما قاله السلف في هذا الموضوع. وطفق يطلعه على المراجع والنقول. فلم يلتفت إليه السلطان، وقال له: أنا ولي الأمر، ولي النظر العام في ذلك.. وأكيف المسألة حسبما أراه مطابقاً للعدل، فقال ابن أبي شريف: نعم! ولكن هم يوافق الشرع الشريف. وإن قتلتهما تلزمك ديتان عنهما. فحنق عليه السلطان وكاد يبطش به

ثم التفت إلى الشيخ زكريا الأنصاري وهو رأس الشافعية في ذلك الوقت، فقال له: ما تقول في هذه المسألة؟ فقال الشيخ زكريا: له حق الرجوع بعد الاعتراف. وإذا رجع سقط عنه الحد. فقال له السلطان وهو مغيظ: أتتحمل جريرة هذه الفتوى؟ فرد عليه قائلا: ومن أنا حتى أتحملها، فليتحملها الإمام الشافعي صاحب المذهب. فقال له السلطان: إنك رجل قد كبرت وشاخ عقلك، وأصبحت لا تصلح للفتوى

ثم التفت السلطان إلى الشيخ نور الدين المحلي يسأله عن رأيه فرد عليه قائلا: إن ما يقوله لك يا مولانا مشايخ الإسلام، هو نص ما قاله الإمام الشافعي وغيره من علماء الأمة

فقال السلطان نرجو أن نرزأ بمثل هذه الحادثة في بيتك..

فوجم الشيخ وقال: عافانا الله من ذلك

وأخذ السلطان يتفرس وجوه قضاته وعلمائه واحداً واحداً، لعله يجد في وجه واحد منهم من الاشارات ما يريحه ويرضيه.. ولكنه وجدهم جميعاً على قلب رجل واحد؛ فصاح فيهم حانقاً، وتنور فيظه يفور، وطردهم من مجلسه شر طردة؛ وهنا يبدأ الدور الرابع من هذه الرواية

لم يستجب السلطان الفوري لنير ضميره، وغير صوت العدالة التي رآها. فبدأ بعزل الدميري قاضي قضاة المالكية. وحرم ابن أبي شريف من مشيخة مدرسة السلطان ونفاه إلى القدس. أما قاضي قضاة الحنفية عبد البر بن الشحنه، الذي كان من السلطان بمنزلة جعفر البرمكي من هرون الرشيد، فقد كاد يبطش به، وافظه من صحبته.. ثم أقال القضاة جميعاً من مناصبهم. وقبض على القاضي شمس الدين الزنكلوني، مبتدع الفتوى، وقال له: «فليبطل حكمي، وليقض بحكمك» وأمر ببطحه بين يديه أرضاً فضرب بحوالف عصا. وضرب ولداه كذلك نحو ستمائة عصاة إذ كانا يسميان فيما يسعى إليه أبوهما. ونفاهم السلطان، فخرجوا هائمين على دوابهم، والدماء تسيل من أبدانهم.. ثم أشيع أن الزنكلوني مات من هول ما أصيب به

واشتد حنق السلطان على الفقهاء، حتى أمر والي القاهرة بأن يقبض على كل من رآه منهم سكران، ورصد له خلعة سنية وفرساً مسرجاً جائزة له إذا قبض على واحد منهم. وحرم على المباشرين المتممين أن يدخلوا عليه فكانوا يحتالون على ذلك، بلبس تخاقيف الجراكسة

أما المذنبان فقد أمر السلطان بشنقهما على باب بيت القاضي ابن أبي شريف مبالغة في النكاية به. فلما نصبت المشنقة على بابه — وكان منفياً — ظن أبناؤه وأسرته أنه هو الذي سيشنق فأعولوا واشتد بكاؤهم عليه

اجتمع الناس في ذلك الصباح الباكر، وجيء بالرجل والمرأة ووضعا مما وجهاً لوجه، وشنقا بحبل واحد.. وارخى الستار

انتهى شهاب الدين الشاعر من قصته، وإخوانه بين معجب به ومعجب بالسلطان، وبين ناقم عليه أو متحير في أمره. وكانت هذه القصة محوراً لأحاديث طريفة دارت كئوسها بينهم حواراً وجدلاً، حتى أعيا سهرهم، وحان موعد انصرافهم، فانصرفوا — كعادتهم — على ميعاد

محمود رزق سليم

# وحي الرسالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

---

## سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

ليكن فى علم الجمهور أنه طبقاً لنصوص عقد الاشتراك لا يجوز استعمال التليفون لغير المشترك ومستخدميه وعائلته إلا إذا حصل على تصريح كتابى من المصلحة وعليه أن يلصق فى مكان ظاهر صورة من هذا التصريح بجوار العدة التليفونية لاطلاع من يهمه الاطلاع عليه من الجمهور ومندوبى المصلحة .

فالرجا لمن يرغبون من حضرات المشتركين الحصول على التصريح المشار إليه أن يتقدم للمصلحة بطلب كتابى للنظر فى أمر إعطائه التصريح الخاص باستعمال التليفون للجمهور حتى لا تضطر المصلحة لتطبيق نص البندين ١٦ و ١٩ من عقد الاشتراك .

مطبعة الرسالة